

بعض الجوائش

# بعض الجوائش

يتضمن تلميذا أتمام الدكتور طه حسين على كلية الآداب  
في الجامعة المصرية

بقلم  
السيد محمد رشيد رضا  
مستشار جامعة الأزهر

وقف على تصحيحه وعلق عليه بعض الجوائش

السيد محمد رشيد رضا

صاحب المنار

(الطبعة الأولى في سنة ١٣٥١)

مطبعة دار المنار

# مقدمة التصدير

( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ  
لَكِتَابٌ عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ  
خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ )  
( قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ؛ وَالَّذِينَ لَا  
يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُولَئِكَ  
يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ )

إن من أكبر مصائب الأمة الإسلامية أن يبلغ بها الهوان في أكبر  
أمصارها وأشهرها بالعلم ، وأرجاها للحياة ، أن تعلم أفراداً من  
نابتها من العلم ما ترجو أن يكونوا به جنداً لها ينصرها على من  
بهاجها من الأعداء في دينها وشرفها وأدبها ، فينقلبوا أنصاراً  
لأعدائها ، وبهاجوها في أمنع معانها وحصونها ، ويحاولوا هدم  
ما لم تكن لولاه شيئاً مذكوراً ، وانما به كانت أمة عزيزة شديدة  
القوى ، مرجوة الندى ، مرهوبة الشدا ، ذات هداية عليا ، وتشريع  
عادل ، وحضارة زاوية ، به دانت لها الأمم الكثيرة ، وبه نالت  
الإمامة والملك ، ثم يوجد من حكمها ووزرائها من يكرههم ،

ويأمنهم على تربية نشئها، وتعليمه بافتها، ما هو شر من تعلم الجاهرين  
بعداوتها، الذين يدعونها الى الخروج عن دينها، لئتم لهم إخضاعها  
لساطان الاجنبي، بغير منازع وجدائي.

كان أجراً هؤلاء العقبة (١) كاتب بدأ تعليمه في الازهر ثم  
في الجامعة المصرية في أول العهد بإنشائها، وصحب في هذا العهد  
من لفتح ذهنه بالاحاد، ثم أرسلته الجامعة إلى فرنسا ليدرس أدب  
اللغات فيها، فعدت فرنسا ذلك اللقاح بما ظهر أثره في العمل، إذ  
عاد اليها فجعل من أساتذتها ثم وكيلها عميدها، وهو أستاذة الأول  
في أفكاره، والمركس له في تياره.

حذق في صناعة الكتابة، فكان فيها ذا رشاقة وخلاصة، ألف  
كتبا وأنشأ مقالات دس في بعضها سموم الاحاد، وفي بعض آخر  
مخدرات الاباحة والاغراء بالشهوات، فنهى لرد عليه فريق من العلماء  
والادباء، حتى ضج في الشكوى منه مجلس النواب في عهد رئاسة  
سعد باشا زغلول فأوشك أن ينتقم منه، ورفع أمره الى القضاء فكاد  
يقضي عليه، بيد أن أنصاره الاقوياء من كبار الوزراء آزروه وظاهروه

(١) جمع عاق بالتشديد اسم فاعل من العقوق وقد اخترته على  
العاقين على ثقل لفظه لمناسبة معناه، وللإشارة إلى عدم استعمال  
عقولهم في عقوقهم، على ان الادغام يخفف الثقل

حتى أنقلوه. ثم قدر الله تعالى أن تخرجه وزارة المعارف من الجامعة في العام الماضي في إثر حملة شديدة جديدة في مجلس النواب ، أظهرت للامة من جنائته على طلبة كلية الآداب فيها ما يرى القراء نقضه في هذا الكتاب .

سُرَّ جميع أهل الغيرة على الدين باخراجه من الجامعة ، وإنه ليسرهم أن يسجدوا اليوم من الازهر الشريف صوتا جمهوريا في نقض ما أذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، صوت عالم أزهرى ، وأديب عصري ، وكاتب مجيد غير سياسي ، ينقض هذه المطاعن الاخيرة ، وأن يصدر نقضه لها عن دار المنار ، التي أسست من أول يوم لخدمة الاسلام ، فكلانا بريء من سياسة الاحزاب ، فلان نحن من أحزاب الحكومة ولا من أحزاب المعارضين لها ، ولا من خصومهم ولا من خصومها ، وإنما ننصر ديننا ، ابتغاء مرضاة ربنا ، فيما يجب علينا لأمتنا ودولتنا . ونتمنى لو يصرح هذا الطاعن بأن جميع ما صدر عنه من الطعن على القرآن قولا في الدرس ، وكتابة في الطرس ، كان باطلا ، وإنه رجع عنه وتاب منه . وإنه يؤمن بأن القرآن كلام الله كله حق (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فإن ما نقل عنه من انه قال انه يؤمن بالله ورسوله

لا يكفي في صحة توبته ما ذكر ، على ان هذه المطاعن التي ألتها في دروسه كانت بعد تلك الكرامة التي كان سببها تحقيق النيابة العامة معه في مطاعن كتابه ( في الشعر الجاهلي )

اختار الاستاذ صاحب هذا النقض للمطاعن الاخيرة أن يطبعه في مطبعة دار المنار لانها أحق به ، وأجدر بنشره ، بل وغب إلى أن أشركه في أجره ، بما يمن لي من تعليق عليه ، وبمقدمة تصدير له ، فأقرن كلمة الطيب بكلامي ، وأعزز قاهه البليغ بقلمي ، وإنها لرغبي محبوبه للمؤمن بالطبع ، ومظاهرة على الحق واجبة في الشرع ، وتعاون على البر والتقوى ، أمرنا الكتاب العزيز بها ، وهو قد وفى النقض المطاعن الجديدة حقه ، وقفى عليه بما كان من رد له على ما قبلها من خطيئاته ، فأدى الواجب في جزئيات المطاعن الخاصة وزاد عليه ، وايس علي إلا أن أقول كلمة وجيزة في المنازلة من الوجة العامة :

### الناطقة العصرية من الكتاب

نبغ في الربع الثاني من هذا القرن الهجري نابتة من كتاب الأدب والسياسة والتاريخ ، اقتفوا إثر الافرنج في الاساليب ، وما يسمونه النقد التحليلي في الكتابة ، ومزج الكلام بالنظريات الحديثة والمسائل العملية ، فكان لما يكتبون رواج ووقع حسن عند جميع

المثقفين على المناهج الحديثة ، وأصاب بعضهم به شهرة بما تنشره لهم الجرائد التي يؤيدون سياستها وما تقرظه من مصنفاتهم ، ناعته إياهم بأجمل النعوت ، والالقب المحببة إلى النفوس ، وناهيك بدعوى تجديد حضارة الامة ، وقيادتها إلى حيث تساوي أمم الافرنج في عظمتها ، وتمتعها بزينة الدنيا وطيباتها .

وإن لبعض هؤلاء الكتاب (مصنفات حرة مستقلة ، وهم الذين يخدمون العلم والتاريخ والادب يباعث حب التحقيق ، وإن لبعض آخر) أهواء سياسية وإلحادية ، لمنافع لهم شخصية ، على ما بيناه في المنار بالتفصيل وأشرنا إليه آنفاً بالاجمال ، وهو موضوع كلامنا هذا ، وشهره وأضره الطعن على القرآن الحكيم

إذا كان يوجد في الاوربيين من يتمحل الطعن على الاسلام ، ولا يتنزه عن التسامي إلى انتقاد القرآن ، فلهم على ذلك باعشان :  
باعث ديني وباعث سياسي .

ذلك بأنهم رأوا أن الاسلام قد غلب النصرانية على أمرها في الشرق ، وكاد يغلبها في الغرب أيضاً ، بعد اعزاز دولها ، واستبحار ثروة كنائسها ، وإحكام نظمها ، فلم يجدوا وسيلة لصدم تياره عن بلادهم ، وسلبه ملكهم ، وتعريبه لشعوبهم ، إلا محاربتة بالافتراء

عليه والظامن فيه ، وبقتال أهله بالسلاح ، ثم بالسياسة ، فأحكروا  
نظام الحربين بعد التمهيد لها بتربية الشعوب النصرانية على بغض  
المسلمين ، وتلقينهم في البيوت والمدارس أن الاسلام هو العدو  
الاكبر للمسيحية ، وما هو إلا أخو المسيحية ومحدثها ، والمدافع  
عن حقها ، والتمم لاصلاحها ، والمبرء لنبينا (ع . م ) من طعن  
المقبرين وشطط الغالين .

ويوجد منهم قوم آخرون لا يدينون بدين وقد رأوا من  
معجزات القرآن ومن أنزل عليه القرآن في العلم وهداية البشر واصلاح  
شؤونهم ما يلجئهم إلى الايمان والاذعان ، إذ لم يجدوا لهذه المعجزات  
تأويلا ينظمونها به في سمط السنن الكونية ، فتكافوا التأويل لها ،  
لا بطلان كونها من خوارق العادات والآيات الالهية ، فهذه أسباب  
طعن الافرنج ومريديهم وتلاميذهم من النصراني والملاحدة .

وأما المسلم فلا يميل أن يبعثه شيء على الطعن في كتاب الله وفي  
هدي رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه وآله ، وهو يرهان الكفر  
والردة ، وكبرى الجنايات القاتلة لهذه الامة ، فان خفي عليه برهان  
شيء من عقائده ، أو صحة شيء من آياته ، وجب عليه أحد أمرين :  
إما الجد في طلب العلم بالبحث عما جهل والسؤال عنه ، وإما تفويض  
الامر في ذلك إلى الله تعالى .

بيد أن في المسلمين الجغرافيين زنادقة منافقين ، وأن منهم ملاحدة  
شاكين ، وأن من زنادقتهم ناورين مشككين ، يستخدمهم شرار  
أعداء الإسلام الدينيين والسياسيين ، وأن منهم من يزلف اليهم بالتشبه  
بهم ، ويدعوى « التنوير » وحرية الفكر والفلسفة ، وإن من النابتة  
والعامية من ينخدع بشبهات هؤلاء وأولئك ، وتفرد دعايتهم بما يزينها  
من خلاصة القول ، ووهم التجديد العصري ، والانسلاخ من تقاليد  
القديم الذي يصفونه بالخلق البالي ، وإن كان كالفلك لا تخلق جدته ،  
وكالشمس والقمر لا تبلى محاسنه ، ولا ينطفئ نوره ، وهو القرآن الحكيم  
وان لهذا التجديد دعاة من ملاحدتنا يوهمون الدهماء في بلاد  
الإسلام العربية والاعجمية أن الافرنج ما صاروا أقوى منا وأرقى  
ثروة وحضارة ، وتمتعا بالذات والشهوات ، إلا بالانسلاخ من الدين ،  
فأول ما يجب علينا أن نفعله إذا أردنا أن نكون مثلهم أن نتجرد  
أولا من ديننا ، فنكون إباحيين عباداً للشهواتنا ، ثم نطلب علومهم  
وفنونهم فنكون مثلهم ، وهذا غش وخداع بالكذب والبهتان ،  
فهم أشد من شعوب الشرق كلها إحكاماً لرابطتهم الدينية ، وعناية  
بتعليم الدين ونشره ، وبذل الملايين في سبيله (١)

(١) ان دول أوربة المتجدد العناية بالدين تعالما وتربية وقد قرأت  
اليوم برقية في الصحف بأن حكومة النمسا أمرت بجعل إقامة شعائر  
الدين في مدارسها اجباريا

ولكن هؤلاء، الدعاة للاتحاد والاباحة شبهات من فلسفة  
الافرنج وأصول النقد عندهم يروجون بخلافتها الطعن على القرآن  
بما يفترون عليه ، فنحن نشير اليها أولاً ونقفي عليها ، ببطلان بناء  
نقدهم له على قواعدها ، فاذا هي وأهلها كمن قال الله تعالى فيهم  
(قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد  
نحرّاً عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من  
حيث لا يشعرون )

### قواعد النقد العصري

من أصول النقد العلمي الفلسفي للكلام الذي يسمونه النقد  
التحليلي أن يعرف أولاً تاريخ صاحبه في مزاجه وتربيته الدينية  
والادبية ، وقومه ، وعشرائه ، ووطنه وحكومته ، وأخلاقه ومبادئه ،  
وأهله وولده ، وعواضل حياته ، وأطوارها الاجتماعية والسياسية  
والشهوانية وغيرها ، فن المعلوم بالطبع والمقل أن كل ما يعرض  
لادراك الانسان ووجدانه يكون له أثر في كلام صاحبه .

فلو كان الانسان منطورياً على الصدق والأيقول إلا ما يمتد ،  
والأيكتم شيئاً مما يمتد ، وعلى التوفيق بين اعتقاده وما يعارضه  
من شعوره ووجدانه ، من حب وبنفس ، وخوف وطمع ، لكان

طريق النقد التحليلي للكلام معبداً مستقيماً قلما يضل سالكه أو يمش  
ولكن الانسان خالق قادراً على الصدق والكذب ، وعرف من  
سيرة أفرادهم أنهم يتبعون أهواءهم ومنافعهم في كلامهم فيرجحون  
بيها الكذب على الصدق ، أو إخفاء الحق على إظهاره ، إما لطلب منفعة  
أو لدفع مضرة ، إلا من كان له عقيدة دينية أو حكمة عالية تعصمه من  
الكذب الصريح ولو بالتأول ، وقليل ما هم . ولذلك قال بعض  
الاذكياء : إنما وظيفة اللسان في الانسان إخفاء الحقيقة عن الناس ،  
ولا ريب في أن الشعراء وكتاب السياسة المكتسبين بشعرهم هم  
أبرع الناس في الكذب والافك ، وإبراز الباطل في صدق الحق ،  
والرذيلة في ثوب الفضيلة ، والعكس . فهذه مدحضة من مداحض  
النقد التحليلي في الناقدين والمنتقدين ، تتيح لصاحب البصيرة أن  
يظهر خطأ هؤلاء الكتاب عندنا في كثير مما قالوه ويقولونه في  
تراجم شعراء العربية ونقد رجال السياسة  
ومن هذه المداحض بعض ما يضعونه من الاصول والقواعد الواهية  
الطبايع الامم وأحوالها الاجتماعية ويرجعون اليها في تقديم ، كالذي  
كانت الشعوبية تقوله في ذم العرب ، ومنه بعض ما قاله الحكيم ابن  
خلدون بسريان دعايتهم في رأيه على استقلاله فيه ، وبني عليه زعمه

أن أكثر حملة العلم في الإسلام من المعجم ، ومع ما تفرص به بعض علماء الأفرنج من المستشرقين وغيرهم في هذا الباب ، وهو ما يعتمد عليه مقلداتهم منافي تقدمهم التحليلي ، يعرفون بدعوة العرب ويجهلون حضارتها القديمة في جزيرتها ولاسيا السعيدة منها ، وفعل جواليها في الحضارات الكلدانية في العراق والفينيقية في سورية والمصرية في مصر ومن فروع الاغلاط الراجعة إلى هذه الاصول التي أخذها كثيرون بالتسليم فجعلوها من القضايا البرهانية ، قول بعض السابقين إن سبب وضع علماء الاعاجم لأكثر معاجم اللغة العربية والكتب فلسفتها من النحو والبلاغة هو شعورهم بالحاجة إليها لفهم هذه اللغة التي كان يفهمها أهلها بالسليقة

وهذا قول باطل فمن ثم كان تعامله باطلا ، فإن الواضع لأول معجم لغة هو الخليل بن احمد وهو عربي ، وأكثر واضعي سائر المعاجم من العرب كالفيروزبادي وهو قرشي صديقي ، وابن سيده وهو عربي أندلسي ، وابن منظور وهو عربي أنصاري خزرجي ، ولا تتسع هذه المقدمة للتمثيل لسائر العلوم اللغوية والشرعية

ومن فروعها ماجرى عليه الدكتور طه حسين في محاضراته الاخيرة في شعر أبي تمام والبحتري وابن الرومي ، فقد تمحل فيما

حاواه تبعاً لغيره من إثبات نسب أعجمي لبعض هؤلاء الشعراء وغيرهم ، وتميز شاعريتهم عن غيرها من شاعرية أقرانهم ، بتأثير الوراثة الأعجمية في عقولهم ومخيلاتهم ، في إثبات الانساب الأعجمية لبعض هؤلاء الشعراء نظر تاريخي ظاهر واضعف دلالة الاسماء والالقب ، والنسبة الى البلاد ، ولكن النظر في إثبات الوراثة الأعجمية في شعرهم أقوى وأظهر ، فقد أتى على جيل الروم قرون كثيرة لم ينبغ فيها فيلسوف ولا شاعر يقرب بشعراء العرب في جاهليتهم فضلا عن شعراء حضارتهم ، على ان ملكة الشعر لم تكن شائعة منتشرة في الروم كالعرب فبرها اكثر من كان من سلائهم وان بعدت من عهد علمهم وحضارتهم

إذا تمهد هذا أقول :

قد كتاب الافرنج للقرآن والنبي ( ص ) ومقدمهم المسلم

إن كتاب الافرنج من دعاة النصرانية والملاحدة قد وضعوا القرآن المجيد الحكيم والنبي الامي الصادق الامين على مشرحة النقد التحليلي ، وأعملوا فيهما مداهم ومباضعهم ، وآلات التحليل عندهم ، اتباعا لقواعدهم وأصولهم التي أثمرنا اليها ، فكان عاقبة ذلك أن آمن من كان سليم النظرة منهم غير جامد على الافكار المادية بنبوة

عند درساته ، وكون القرآن كلام الله تعالى ووسيه اليه ﷺ ، وتعمل  
بعضهم من التمايل والتأويل والمعجزات والآيات العلمية ، ما يراه  
أقرب إلى الجمع بين المعتاد والمعهود في استعداد البشر العقلي والروحي  
وسنن الاجتماع ، وما ثبت في تاريخ محمد ﷺ ، ما هو من خوارق  
العادات ، مع اجتناب المبالغة في ذم ولا مدح كوسيو مونتبه ،  
ومنهم من عرضه في قالب المدح بمثل ما شرحه كارايل في كتابه  
(الابطال) ومسيو درمنغام في كتابه (حياة محمد) عليه الصلاة والسلام  
وأصر الفريق الثالث على افتراء الكذب والبهتان ، وأعني  
بهذا الفريق دعاة الكنيهة ، وأعدائهم من رجال السياسة  
فأما هؤلاء الظالمون المنفرون فالباعث لهم على عملهم خدمة  
ملتهم ودولهم ، وجهاد أقوى عدو لتعاليم كنائسهم وعظمتها على  
قاعدتهم المشهورة عنهم بلفظ «الغاية تبرر الوسيلة» يمتنون ان الجريمة  
التي تكون وسيلة إلى مقصد حسن كالكذب تكون بهذه النية من  
أعمال البر الشريفة ، وهم مأجورون عليه من جمليات كنائسهم في  
الدنيا ، والمؤمن منهم بكنيستهم وقاعدتها المذكورة يرجو على عمله  
ثواب الآخرة ودخول الملكوت  
وأما أولئك الناقدون من علمائهم المستقلي العقل مادحهم

وقادحهم فانهم رأوا أنفسهم تجاه أعظم حادث في تاريخ البشر :  
رجل أمي ظهر في قوم أميين مشركين من أبعاد الشعوب عن الحضارة ،  
وهداية الديانة ، والتشريع والفتح وسياسة الشعوب ، جاءهم بكتاب فاق  
جميع كتب الانبياء والحكماء في عبارته وهدايته ، فجمع به وعليه  
كلهم المتفرقة ، وألف بين قلوبهم على ما كان من إحنة وحنن ،  
وهذب طباعهم على كبر السن ، ففتحوا العالم وصاروا أئمة أم  
الحضارة وساداتها وملوكها ، كتاب معجز بأسلوبه ونظمه وعلمه ،  
ونبي ذو معجزات في نفسه وأخلاقه وأعماله وأمته ، لا يجزم ان هذا  
الحادث التاريخي الاعظم يحتاج إلى فهم ونقد وتعظيم وإكبار . مع  
تكاف إدماجه في المعتاد من كبار العقول وأعلیاء الهمم من الناس  
وأما مدرس الادب المسلم في الجامعة المصرية التي أسستها  
الامة المصرية المسامة بأموال أغنيائها وأوقافها ، وكفلتها الدولة  
المصرية الاسلامية ، فما الباعث له على الطعن في نبيه الكريم ،  
وكتاب ربه العلي العظيم ، وجعل الطعن عليها درسا في الادب  
يلتفح به أذهان طلبة كلية الآداب مصر حافيه « بأن الباحث الناقد  
والفكر الجريء لا يفرق بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر »

والمفروض أنه مؤمن بأن القرآن كلام الله ووحيه ، فلا يدخل في عموم تلك القواعد الموضوعية لنقد كلام البشر ؟

هل يستطيع مسلم جريء أو متهور ألا يفرق بين كتاب الله وبين أي كتاب أدبي آخر ، وإن كان كتاب ألف ليلة وليلة ، أو خريدة العجائب مثلاً ؟

أم هل يستطيع كافر بالله وكتابه ورسوله وقد آوى حظاً من بلاغة اللغة أو نصيباً من أدب النفس وعلم الاخلاق ، أو خلاقاً من علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، ألا يفرق بين القرآن العظيم الحكيم وبين أي كتاب آخر ؟

أم هل يصدق من يدعي عدم التفرقة في قوله ، وقد اقتصر في نقده على الطاعن ، وأسرف فيه حتى أربى على أوائلك الإعداء الطاعنين بما لا يعقل أنه يعتقد ، وهو ما يرى القاريء بيانه في هذا النقض ؟ ألا إن من وراء المعقول ان يكون هذا من النقد الزيه ، الذي يعمرون عنه بالبريء ، فما سببه اذا وما الداعي اليه ؟

من هذه المطاعن ما سببه الجهل بالكي والمدني من السور ، ومنها ما منشؤه الجهل بما يدرك منها بالسمع والبصر ، كالذي زعمه في قصر الآيات في القسم المكي ، وطولها في القسم المدني ، وهو

عما ذكره علماءنا ولم يبينوا سببه ، ونحن نبينه هنا بالإيجاز فنقول :  
إن طول الآيات وقصرها منوط بموضوعها ، ولا دخل فيه  
لمكان نزولها ، فالآيات أو السور التي يراد بها الوعظ والزجر يحسن  
فيها أن تكون أقصر من آيات الأحكام ، وهي تكثر في القسم المسكي  
لأنه هو المناسب لحال المخاطبين ، من المشركين المعاندين ، كما  
تكثر الأحكام التفصيلية في السور المدنية لأن الخطاب بها للمؤمنين  
المكلفين ، على أن الآيات الطويلة التي قال « إن الآية الواحدة منها  
تزيد على عدة سور بتامها من القسم المسكي » قليلة جداً ، بل لا تظهر  
تمام الظهور إلا في آية الأحكام المالية من الدين والرهن وكتابتها  
والاستشهاد عليها من سورة البقرة ، فهي أطول آية في القرآن تبلغ  
في المصاحف المطبوعة اثني عشر سطرًا ، وهي تزيد على عدة سور  
من صغار المفصل التي تتلى في الصلوات القصيرة مكيا ومدنيها ،  
فسورة النصر منها مدنية وهي سطران فقط ، وسورة الزلزلة مدنية  
وهي أربعة أسطر ومثلها سورة العاديات والمعوذتين وكذا العصر  
في قول وهي سطر واحد

وآيات الأحكام التي قلما تبلغ نصف تلك الآيات الطولى قليلة

جداً كما يتي المواريث في سورة النساء، دونها الآية التي في آخرها، وآية  
الوضوء، وآية الوصية في السفر من سورة المائدة، وما عدا ذلك من  
آيات السور السبع الطول والمئين معتدل بين الطول والقصير، ومنها  
المسكي والمدني، وإنما تكثر الآيات القصيرة في قسم المنفصل من  
القرآن الحكيمين (أولاهما) أن أكثره وعظ وزجر وعبر، وسوره  
أكثرها مكي وهو المناسب لمقتضى الحال في مكة وأهلها لما كان  
عليه أكبر أهلها في جحودهم وتمادم وطول باعهم في البلاغة،  
لا لأحطاط بيثتهم وسداجتهم كما زعم، فانهم كانوا أرق العرب  
ذكاءً ونباهةً وبلاغةً

(وثانيتها) أنه أكثر ما يتلى في الصلوات فرضها ونظامها، وطولها  
وقصيرها، فالمناسب أن تكون آياته قصيرة وسوره قصيرة أو متوسطة  
ليكون كل ما يقرأ منها مستقلاً بالفائدة التدبرية، والطاعن يجمل كل  
هذا على ظهوره لأن درس التفسير وحكمة القرآن لم يكن مما يعنى به  
ومن هذه المطاعن ما سببه الجهل بفتن البلاغة أو الغفلة عنها  
أو تقليد الأفرنج وهو ما عبر عنه بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني،  
وقد سبقه إليه مستر سايل وغيره، ولا يتسع هذا المقام لبيان  
تكلف المقاد من الأفرنج قبله أن يجدوا فرقاً بين السور المكية

والمدينة وبين أخلاق النبي وأحواله في مكة إذ كان فقيراً ضعيفاً ،  
ثم في المدينة بعد أن صار غنياً قوياً ، وما كان شره في البلدين إلا شرّاً  
في إبطال الباطل وإحقاق الحق ، ، وتقرير قواعد الإصلاح وإقامة  
ميزان العدل ، وما كان في الخاينين إلا مثلاً في الخلق والعمل ،  
«والشمسُ رآد الضحى كالشمس في الظفل» وما كان مكي القرآن  
ومدنيهِ إلا سواء في البلاغة المثلى على ما قيل في تعريفها من مطابقة  
الكلام لمقتضى الحال ، وعلى ما نقول من أنها عبارة عن بلوغ المتكلم  
به ما يريد من إصابة موقع الاقتناع من العقل ، والوجدان من القلب .  
( الرُّبُوبِ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ  
حَكِيمٍ خَبِيرٍ \* اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا )  
فكان مقتضى الحال في مكة وأهلها مشركون منكرون للبعث  
مستكبرون بما لهم من الثروة والرياسة في العرب ، في الندرة من  
بلاغة اللسان ، ولو ذعيرة الأذهان ، وجرأة الجنان - أن يخاطبوا  
بالنذر القارعة ، والحجج الصادقة ، بأبلغ العبارات ، وأفصح  
البيانات ، في الدعوة إلى التوحيد ، وأصول الدين ، وقواعد التشريع  
وعقائل الفضائل ، وهو ما أمت بيانه في مقدمة الطبعة الثانية  
للمجلد الأول من المنار ، التي كانت في سنة ١٣٢٧ هـ إذ قلت :

« قد اقتبسنا أسلوب الأجمال قبيل التفصيل وقرع الأذهان  
بالخطايات الصاعدة من القرآن الحكيم ، فإن أكثر السور المكية  
ولاسيما المنزلة في أوائل البمثة قوارع تصخ الجنان ، وتصدع الوجدان ،  
وتفزع القلوب إلى استشعار الخوف ، وتدع العتول إلى إطالة الفكر ،  
في الخطبين الغائب والعتيد ، والخطرين القريب والبعيد ، وهما عذاب  
الدنيا بالابادة والاستئصال ، أو الفتح الذاهب بالاستقلال ، وعذاب  
الآخرة وهو أشد وأقوى ، وأنكى وأخزى ، بكل من هذا وذاك ،  
أنذرت السور المكية أولئك الخطابين إذا أصروا على شركهم ، ولم  
يرجعوا بدعوة الاسلام عن ضلالهم وإفكهم ، وبأخذوا بتلك الاصول  
المججلة ، التي هي الخنيفة السمجة السهلة ، وليست بالشيء الذي  
ينكره العقل ، أو يستثقله الطبع ، وإنما ذلك تقليد الآباء والاجداد ،  
يصرف الناس عن سبيل الهدى والرشاد

« راجع تلك السور العزيزة ولاسيما قصار المفصل منها كالحاقة  
ما الحاقة ، والقارعة ما القارعة ، وإذا وقعت الواقعة ، وإذا الشمس  
كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت ، والذاريات  
ذرواً ، والمرسلات عرفاً ، والنازعات عرفاً .

تلك السور التي كانت بنذرهما ، وفهم القوم لبلاغتها وعبرها ،

تفزعهم من سماع القرآن ، حتى يفرّوا من الداعي صلى الله عليه وسلم من مكان إلى مكان ( ٧٤ : ٥٠ كتابهم حمر مستنقرة \* فرّت من قسورة \* ١١ : ٥٠ ألا إنيهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ، ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ) ثم ارجع إلى السور المكية الطوال ، فلا تجدها تخرج في الأوامر والنواهي عن حد الأجمال ، كقوله عز وجل ( ١٧ : ٢٣ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ) - إلى الآية ٣٧ منها ، وقوله بعد إباحة الزينة وإنكار تحريمها وتحريم الطيبات من الرزق ( ٧ : ٣٢ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ) ﴿ قصص القرآن ومزاياها ، والتشريعات الإسلامي والأسرائيلي ﴾

هذا وما امتازت به السور المكية قصص الرسل عليهم السلام مع أقوامهم وما في معانيها من أصول دين الله العام ، ومن بيان سننه تعالى في الأقوام ، ومن العبر والمواعظ في التهذيب ، ونزاهتها من كل ما ينخل بالأداب ، ومن سوء القدوة في الأخلاق والأعمال ، وهي تفضل بذلك كاه قصص التوراة كما فصلناه في تفسير المنار ، وكذلك

تفضلها وتفضل سائر كلام البشر بما في نظم عباراتها ، واختلاف  
أساليبها ، من روعة البلاغة ودلائل الإعجاز الخاصة بها ، وناهيك  
بإيرادها في بعض السور بمنتهى الإيجاز والاقتصار على موضع  
العبارة ، وفي بعضها بالأسباب والبسط المشتمل على كثير من  
أصول الهداية وسنن الاجتماع وأميات الفضائل — وفي بعض آخر  
بما هو وسط بينهما ، مع اختلاف النظم والأسلوب والفواصل في كل  
منها بما يتجلى به الإعجاز أظهر التجلي من ناحية البيان ، فوق  
الإعجاز من ناحية الأخبار بالغييب، وتصحيح أغلاط التاريخ المأثور  
عند أهل الكتاب ، وبيان خلاصة دين الله ( الإسلام ) في العقائد  
والهداية التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام، ونزاهتهم عما وصفتهم  
به كتب اليهود من النقائص والآثام .

ولو أن هذه القصص جاءت في السور المدنية لقال المفسرون  
يفلسفة نقله التحليلي : إن محمداً أخذاً كثرها من التوراة لأن أهل  
هكّة كانوا يجيئونها، بل كانوا يجيئون هذا النوع القصصي في كلامهم  
قارنخيه ووضميه ، وقد عدوا هذا من عيوب الشعر العربي ونقصه  
عن شعر الأعجم — وإكانت هذه الشبهة على قوله هذا أدنى أن  
قشبه على طلبة الجامعة المصرية والعوام ، من شبهته على وجود

تشريع الاحكام الشخصية المالية والزوجية في القسم المدني، فان الفرق بين التشريعين الاسلامي والاسرائيلي في هذين النوعين وفي غيرها عظيم جداً، كما أن سبب تفصيله في المدينة دون مكة واضح جداً، وهو أن التشريع العملي مرتبط بسلطان الحكم التنفيذي فلا تشريع لمن لا يملك حكم التنفيذ، فالاسلامي أرق وأعلى من الاسرائيلي من كل وجه، وناهيك بكونه تشريعاً عاماً لجميع البشر في جميع الأزمنة والامكنة، ومن أسسه المساواة في الحق والعدل بين جميع الشعوب والقبائل، وجميع الافراد فيهما، لا يميز فيه بين ملك وسوقة، ولا بين شريف ووضيع، أو غني وفقير، أو قوي وضعيف، والتشريع الاسرائيلي خاص بشعب خاص مبني على تفضيله على جميع الشعوب بنسبه (الحكمة موقوتة بيناها في مواضع من تفسير المنار) فلا يستطيع هذا الشعب نفسه تنفيذه في هذا العصر إن عاد له الملك الذي يسعى له، بل هم قد تركوا معظم أحكامه من قبل أن يفقدوا الملك، والقرآن يعيب عليهم تحريف كتابهم وجهاً به، وعدم إقامته، وإيمانهم ببعضه وكفرهم ببعض، والنبي ﷺ نهى أصحابه عن النظر في كتبهم، وأخبرهم أن نبيهم موسى (ع.م) لو كان حياً لما وسعه إلا اتباعه، لأنه خاتم النبيين الذي جاء بالدين الكامل والشرع العام

لجميع البشر ، كما بشر الله به موسى في التوراة ، وكما بشر به عيسى  
(ع.م) المصلح في شريعته . زد على هذا نهمه عليهم فساد أخلاقهم  
ولاسيا الحسد ، والبخل ، وأكل انسحت ، واستحلال أكل أموال  
الناس بالباطل ، ووصفهم بأنهم لا يفقهون ولا يعقلون  
ألا يستحي من يعلم هذا من مؤمن بالقرآن ونبي القرآن أو كافر  
حر الفكر أن يفضل السور المدنية على المكية بتأثير مجاورة اليهود  
— وهذا حكمه عليهم — ويدعي استمداد المهاجرين من ثقافتهم  
وتشريعهم ، وهم الذين أصلحوا جميع شعوب البشر بهداية القرآن ،  
والتأسي بأكل الخلق على الاطلاق ؟ ؟ وقد أجمع مؤرخو الافرنج  
وغيرهم على أن أظهر أسباب نجاح الاسلام في انتشاره السريع وفتوحه  
الكثيرة الظاهرة ما كان عليه أهل الملل كلها من فسوق وفساد ،  
والدول كلها من ظلم واستبداد .

هذا ما يتسع له المجال من الفرق بين السور المكية والمدنية  
بالجمال ، وقد التزمنا في تفسير المنار أن نكتب في آخر تفسير  
كل سورة خلاصة كلية لما في السورة من الأصول والقواعد العامة  
التي تشتمل عليها ، ومنها الفرق بين المكي والمدني بالتفصيل  
فمن راجع خلاصة سورة الأعراف المكية في الجزء التاسع من

تفسير المنار يرى في باب توحيد الله إيمانا وعبادة وتشريعا ١٢ أصلا  
وفي باب الوحي والرسالة ٢٤ أصلا ، وفي باب عالم الآخرة والبعث  
والجزاء ١٢ أصلا ، وفي باب أصول التشريع ٩ أصول ، وفي باب  
آيات الله وسننه في الخلق والتكوين ١٤ أصلا ، وفي باب سنن الله  
تعالى في الاجتماع والعمران ٧ أصول

ثم إذا راجع خلاصة سورة الأنفال المدنية في الجزء العاشر  
يجد في أولها مقدمة في الفرق بين السور المكية والمدنية هذا نصها :  
« ينبغي أن يتذكر القاريء أن جل السور المكية في أصول الايمان  
الاعتقادية من الألهيات والوحي والرسالة والبعث والجزاء وغيرهما  
من عالم الغيب ، وقصص الرسل مع أقوامهم. ويلى ذلك فيها أصول  
التشريع الاجمالية العامة ، والآداب والفضائل الثابتة ، كما ينادى في  
خلاصة كل من سورتي الأنعام والأعراف ، ويتخلل هذا وذاك  
محااجة المشركين ودعوتهم إلى الايمان بتلك الأصول ودحض  
شبهاتهم ، وإبطال ضلالاتهم ، وتشويه خرافاتهم

وأما السور المدنية فتكثر فيها قواعد الشرع التفصيلية ، وأحكام  
الفروع العملية ، بدلا من أصول العقائد الايمانية ، وقواعد التشريع  
العامة المجملية ، كما تكثر في بعضها محااجة أهل الكتاب ، وبيان ماضوا

والصاح والمهود ، وأحكام المشركين والمنافقين وأهل الكتاب في ذلك ، وكذا القواعد والاصول المالية ، وكل ذي إدراك يفهم أن هذا كله لا يعقل أن يكون إلا في القسم المدني دون المكي

### الحروف المفردة في أوائل بعض السور

إن هذه المسألة ما كان ينبغي لمسلم أن يقلد دعاة النصرانية في تشكيك طلاب العلم في القرآن بها وجعلها من مباحث النتمد التحليلي في الادب ، وقد فند الاستاذ الناقض لمطاعنه رأيه فيه ، وذكرنا فيما علقنا عليه في حاشيته ما سبقه اليه بعض المستشرقين منه، ونذكر هنا المختار عندنا في هذه المسألة ، وهو ما كتبتنا في تفسير ( المص ) من أول سورة الاعراف في الجزء الثامن من تفسير المنار وهو :

﴿ المص ﴾ هذه حروف مركبة في الرسم بشكل كلمة ذات أربعة أحرف، ولكنها تقرأ بأسماء هذه الاحرف ساكنة هكذا : ألف . لام . ميم . صاد . والمختار عندنا أن حكمة افتتاح هذه السورة وأمثالها بأسماء حروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام هي تنبيه السامع إلى ما سيلقى اليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء . فهي كدأاة الافتتاح « ألا » وها التنبيه ، وإنما خصت سور معينة من الطول والمئين

والثاني والمفصل بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي ﷺ كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم بها إلى الاسلام وإثبات الوحي والنبوة ، وكأها مكة إلا الزهراوين البقرة وآل عمران — وكانت الدعوة فيهما موجبة إلى أهل الكتاب — وكأها مفتوحة بذكر الكتاب إلا سورة مريم وسورتي العنكبوت والروم وسورة ن ، وفي كل منها معنى مما في هذه السور يتعاقب بإثبات النبوة والكتاب .

فأما سورة مريم فقد فصلت فيها قصتها بعد قصة يحيى وزكريا المشابهة لها، ويتلوها ذكر رسالة إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس مبدوءاً كل منها بقوله تعالى (واذكر في الكتاب) والمراد بالكتاب القرآن . فكأنه قال في كل من قصة زكريا ويحيى وقصة مريم وعيسى (واذكر في الكتاب) وذكر هذه القصص في القرآن من دلائل كونه من عند الله تعالى لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم هذا لاهو ولا قومه كما صرح به في سورة هود بعد تفصيل قصة نوح مع قومه بقوله (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر إن العاقبة للمتقين) وكما قال في آخر سورة يوسف بعد سرد قصته مع إخوته (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وختمت

هذه السورة « أي سورة مريم » بإبطال الشرك وإثبات التوحيد،  
ونفي اتخاذ الله تعالى للولد، وتقرير عقيدة البعث والجزاء. فهي بمعنى  
سائر السور التي كانت تتلى للدعوة ويقصد بها إثبات التوحيد والبعث  
ورسالة خاتم النبيين وصدق كتابه الحكيم

وأما سورة العنكبوت وسورة الروم فكل منهما قد افتتحت  
بعد « ألم » بذكر أمر من أهم الأمور المتعلقة بالدعوة، فالاول الفتنه  
في الدين وهي إنداء الاقوياء للضعفاء واضطهادهم لأجل إرجاعهم  
عن دينهم بالقوة القاهرة. كان مشركو قريش يظنون أنهم يطفثون  
نور الاسلام ويبطلون دعوته بفتنتهم للسابقين اليه، وأكثرهم من  
الضعفاء الذين لا ناصر لهم من الاقوياء بحمية نسب ولا ولاء. وكان  
المضطهدون من المؤمنين يجهلون حكمة الله بظهور أعدائه عليهم. فبين  
الله في فاتحة هذه السورة أن الفتنه في الدين من سننه تعالى في نظام  
الاجتماع يمتاز بها الصادقون من الكاذبين، ليمحص الله الذين آمنوا  
ويعحق الكافرين، وتكون العاقبة للمتقين الصابرين. فكانت  
السورة جديرة بان تفتتح بالحروف المنبهة لما بعدها.

والامر الثاني الذي افتتحت به سورة الروم هو الإنباء بأمر وقع  
في عهد النبي ﷺ وما يكن وصل خبره الى قومه - وبما سيعقبه مما هو

في ضمير الغيب، ذلك أن دولة فارس غابت دولة الروم في القتال الذي  
قد طال أمره بينهما فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك وبأن الأمر سيدول  
وتغلب الروم الفرس في مدي بضع سنين . وبأن الله تعالى ينصر في  
ذلك اليوم المؤمنين على المشركين ، وقد صدق الخبر وتم الوعد ،  
فكان كل منها معجزة من أظهر معجزات القرآن ، والآيات المثبتة  
لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام . ولو فات من تلاها عليهم النبي  
ﷺ كلمة من أولها لما فهموا مما بعدها شيئاً ، فكانت جديرة بأن تبدأ  
بهذه الحروف المسترعية للاسماع ، المنبهة للاذهان ، وكان هذا بعد  
انتشار الاسلام بعض الانتشار ، وتصدي رؤساء قريش لمنع  
الرسول ﷺ من الدعوة وتلاوة القرآن على الناس ، ولا سيما في  
موسم الحج . وكان السفهاء يلغظون إذا قرأ ويصخبون ( ٣٦ . ٤١ )  
وقال الذين كفروا لانسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون )  
وأما سورة « ن » ففأتمتها وخاتمتها في بيان تعظيم شأن الرسول  
صاحب الدعوة ﷺ ودفع شبهة الجنون عنه الخ  
وقد بينت بعدما ذكر حكمة هذا التنبية الذي كان من إصلاح  
القرآن في أساليب اللغة العربية ، وكونه مما يقتضيه علم النفس ، وبلاغة  
القول ، وتأثير الخطاب ، فيراجع في التفسير فإنه مهم جداً

## نصيحة إسلامية واجبة

قد علمت أيها المسلم القاريء هذه المقدمة وهذا الكتاب أن الدكتور طه حسين تكلم في القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ولا باخلاص في النقد التحليلي الذي يعلو القرآن على مدارك أهله وعقولهم وعلمهم باللغة والدين والتشريع ، وإذ كان القرآن أصل الدين فلا ينبغي للمسلم أن يأخذ علم بلاغته وآدابه ، ولا علم هدايته وتشريعه ، إلا عن خواص العلماء بتفسيره ، ويجب عليه أن يرجع إليهم فيما عسى أن يقرأه أو يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو رأي فيه يخفى عليه أما دعاية التجديد التي يبشها الملاحدة الاباحيون بعضهم لبعض ويخدعون بها التلاميذ الاغرار ، والمفتونين بتقليد الإفروج فيما يسهل عليهم من طرز ( جمع طراز ) الزينة والشهوات ، فليخبرونا أي شيء جديد جاءوا به مما يرقى الأمة في أمجادها وأخلاقها وقوتها وعزتها لنبين لهم خطأهم فيه ، ونحن نقول إنهم ما جاؤا بشيء جديد نافع قط ، بل بالضرار ، أو أضر الضرار المفسد للأمة كما بيناه آنفا على أنه غير جديد ، بل هو الذي أفسد أم الحضارة القديمة وأسقط دولها ، وعقلاء أم أوربة يخافون سقوطها بمقتضى سنة الله فيمن قبلها . وأما الأسلوب المعصري في النقد الذي اعترفنا بحسنه في جملته

فهو قديم أيضا وأول واضع لأصوله حكيمنا ابن خلدون ، وجرى عليه شيخنا الاستاذ الامام في رده على موسيو هانوتو بما حمل هذا الوزير على اعتذاره للامام ، وجرى عليه أيضا في مقالات الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية الذي طبع مراراً ، ومنه هذا النقض وأما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله في مسائل الادب اللغوي والتاريخ فمنه الصحيح المقبول ، ومنه الزائف المردود ، وان تطبيق الحكم على الصحيح منها قديكون خطأ ظاهراً ، وقد يكون محل نظر واستدلال ، كما وقع للحكيم ابن خلدون واضع هذا الفن . وهذا شأن جميع علماء النظر العقلي والشرعي وغيرهم ، فان خطأ الفقهاء في تطبيق الحكم على قواعد الاصول أكثر من خطئهم في القواعد نفسها

ومن راجع ما كتبه بعض الخذاق في النقد التحليلي التفصيلي لكتاب (في الادب الجاهلي) علم قيمة بضاعته المزرجة فيه ، والتقليد المحض لكبار الحكماء والعلماء ينافي العلم الصحيح في القول بتقليد من دونهم ، والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها ( فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَبَابِ )

منشىء مجلة المنار

محمد رشيد رضا

نقطة الكون

# فقران الكون

يتضمن تنفيذاً ألقاه الدكتور محمد حسين على طلبة كلية الآداب  
في الجامعة المصرية

بقلم

محمد عبد الرحمن

رئيس كلية الشريعة الإسلامية

وقف على تصحيحه وعلق عليه بعض الحواشي

السيد محمد شيد رضا

صاحب المنار

(الطبعة الأولى في سنة ١٣٥١ هـ)

مطبعة المنار ببيروت

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

اللهم كما هديتنا الى الخير فأعنا على الدعوة اليه ، وكما  
عرفتنا الحق فوفقنا الى تعريفه للضالين عنه ، وكما أريتنا المعروف  
معبودا ، والمنكر منكرا ، فأجعلنا من الأبرار بالمعروف ،  
والناهيين عن المنكر ، اللهم علمتنا فأيدنا بروح من عندك  
لندفع ما علمتنا ،

اللهم ثبت قلوبنا لنصدع بالحق ، وهب لنا العزم  
والشجاعة لنجهر بالصدق ، وطهر نفوسنا من حب المال والجاه  
لنقول ما نعتقد ، ولو باعد ذلك بيننا وبين المال والجاه

اللهم أوزنا في سبيلك فكادت عنائنا تخور ، وقوانا تهن ،  
وارادتنا تقل ، فشد من عزائنا ، وقو من إرادتنا ، وارزقنا  
من الصبر ما المحتمل به الاذى والمنكر وه في سبيل الدعوة الى  
الخير ، اللهم اجعلنا ممن علم فعلم ، ولا يجعلنا ممن علم فكتم ،

فتدقات في كتابك ( إن الدين يكتبون ما أنزلنا من البينات  
والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله  
ويلعنهم اللاعنون )

أما بعد. فإن الاسلام قد مني بقوم من أهله، وقوم من  
دعاة الأديان الأخرى، ناصبوه الحرب، وراشوا له النبال،  
وسددوا إليه السهام، فأثاروا حوله الشبه، وأكثروا فيه من  
الطعن، وعمدوا إلى القرآن الكريم فرموه بالافتك، وافتروا  
عليه الكذب، ورموه بعيوب هو منها براء، وكان من أشد  
هذه الطعون في القرآن خشا وبطلانا طعون ذكر في مجاس  
النواب أنها لا حد أساتذة كلية الآداب بالجامعة المصرية

ولإنها مع خشا وبطلانها لم يفتدها أحد من أهل العلم  
(فما نعلم) فرأيت أن أناقشها، وأبين بطلانها، فكتبت في ذلك  
كلمة، وأتيتها كلمة أخرى أبين فيها ضرر الأجداء بالامة،  
وخطر السياسة الاتحادية في التعليم، ليرفق الدعوة إليها بأمتهم  
ويستمعوا عليها، أو ليعلم الناس ضررهم فيتقوا ما يظننهم

## الطعن على القرآن العظيم ( في الجامعة المصرية )

ألقى النائب المحترم الدكتور عبد الحميد سعيد بيانا في مجلس النواب في دورة سنة ١٩٣٢ عن موقف الدكتور طه حسين أحد أساتذة كلية الآداب بالجامعة المصرية تجاه القرآن الكريم، جاء فيه أن هذا الاستاذ أملى على التلاميذ في سنة ١٩٢٧ نقداً للقرآن وقد ذكره بنصه وهو

« وصلنا في المحاضرة الماضية الى موضوع اختلاف الأساليب في القرآن . وقررنا أنه ليس على نسق واحد، واليوم نوضح هذه الفكرة فنقول : لا شك أن الباحث الناقد، والفكر الجريء، الذي لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر، يلاحظ أن في القرآن أسلوبين متعارضين لا تربط الاول بالثاني صلة ولا علاقة، مما يدفعنا الى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة، أو تأثر ببيئات

متباينة . فمثلا نرى القسم المكي منه يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة ، كما نشاهد أن القسم المدني أو اليثري تلوح عليه أمارات الثقافة والاستنارة .

فأتم إذا دققتم النظر وجدتم القسم المكي يتفرد بالعنف والشدة ، والقسوة والحدة ، والغضب والسباب والوعيد والتهديد مثل ( تبت يدا أبي لهبٍ و تَبَّ \* ما أغني عنه ماله وما كسب \* سيصلى ناراً ذات لَهَبٍ \* وامرأته حُمالة الخطب ) ( والمصر إن الانسان لفي خسر ) ( فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد ) ( كلا لو تعلمون علم اليقين لترونَّ الجحيم )

ويعتاز هذا القسم أيضا بالهروب من المناقشة ، وبالخلو من المنطق فيقول ( قل يا أيها الكافرون \* لا أعبد ما تعبدون ) الى قوله ( لکم دینکم ولی دین )

ويعتاز كذلك بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني وقصر

الآيات ، والخلو التام من التشريع والقوانين ، كما يكثر فيه  
القسم بالشمس والقمر والنجوم والفجر والضحى والمصر  
والليل والنهار والتين والزيتون الى آخر ما هو جدير بالبيئات  
لجاهلة الساذجة التي تشبه بيثة مكة تأخرا وانحطاطا

« أما القسم المدني فهو هاديء ابن وديع مسلم ، يقابل  
السوء بالحسن ، ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة ، والبرهان  
الساكن الرزين ، فيقول ( لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا )  
ويهجر مع ابتدائه الترهيب والقسوة ، ويسلك سبيل الترغيب  
والتطبيع في المكافأة ، فيقول ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني  
يحببكم الله ) ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ  
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ )

كما ان هذا القسم ينفرد بالتشريعات الاسلامية  
كالموارث والوصايا والزواج والطلاق والبيوع وسائر  
المعاملات ، ولا شك ان هذا اثر واضح من آثار التوراة والبيثة

اليهودية التي ثققت المهاجرين الى يثرب ثقافة واضحة، يشهد بها هذا التغيير الفجائي الذي ظهر على أسلوب القرآن .

أما طول الآيات في هذا القسم فهذا أمر جلي ظاهر لأن إحدى آياته قد تزيد على عدة سور بتمامها من القسم المكي أما أفكاره فهي منسجمة متسلسلة ترمي أحيانا الى غايات اجتماعية وأخلاقية . وعلى الجملة فإن ما في هذا القسم المدني من هدوء ومنطق وتشريع وقصص وتاريخ يدل دلالة صريحة على ان الظروف التي أحاطت بهذا الكتاب أبان نشأته قد تطورت تطورا قويا .

هناك موضوع آخر يجب أن أتبرك اليه وهو مسألة هذه الحروف العربية غير المفهومة التي تبتدىء بها بعض السور مثل ، ألم ، الر ، طس ، كهيعص ، حم ، عسق الخ . فهذه كلمات ربما قصد منها التعمية أو التهويل ، أو إظهار للقرآن في مظهر عميق مخيف ، أو هي رموز وضعت لتميز بين

المصاحف المختلفة التي كانت موضوعة عند العرب . فمثلا  
(كبيص) رمزا لمصحف ابن مسعود (جم عسق) رمزا لمصحف  
ابن عباس (طس) رمزا لمصحف ابن عمر ، وهلم جرا ، ثم  
ألتحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا « اه

﴿ الحاجة إلى تنفيذ هذه المطاعن ﴾

علمنا إذن أن هذه الطعون في الكتاب الكريم كانت  
تلقى في الجامعة المصرية كعلم يدرس في مدارس الحكومة  
المصرية ، وأن عقولا من أبناء المسلمين قد دخلت فيها هذه  
الافكار ، فإذا فعلنا لتطهير عقول هؤلاء التلاميذ منها ؟

هل كتب أحد ما ينقض تلك الطعون ويزيلها ، ويضع  
ما كتب في أيدي تلاميذ الجامعة المصرية ليعلموا ان هذا  
المحاضر كان يتفهمهم ، ويخالف الحقيقة والتاريخ ليخدعهم عن  
دينهم ؟

إن الشبهة قد أقيمت الى التلاميذ وهم لم يدرسوه

القرآن دراسة تمكنهم من دحضها . ولا تزال عالقة بعقولهم  
تشككهم في دينهم . ولم يجدوا أحدا من رجال العلم ولا من  
رجال الدين ينقض هذه المزاعم بالحجة البالغة ، والبرهان المنطقي ،  
ويناقشها مناقشة علمية هادئة .

نعم انهم قد وجدوا أولي الأمر قد فصلوا هذا الاستاذ  
من كلية الآداب بالجامعة ، ولكن ليس ذلك في قليل ولا كثير  
من نقض طعنه وخذش مذهبه . بل ربما وقع في نفوس  
بعض التلاميذ أن أولي الأمر لم يقدرُوا على هدم رأيه بالحجة  
فعمدوا الى القوة ، وما كانت القوة يوما من الأيام بنافعة في  
هدم رأي ودحض مذهب

علمنا هذا كله ، وعلمنا أيضا أن هذا الطعن في القرآن  
حكى في مجلس النواب المصري ، وسمعه أعضاء المجلس والناظرة ،  
وطبع في مضبطة المجلس ، وتناقلته الصحف والمجلات ، وقرأه  
الناس في البلاد العربية ، وربما ترجم الى بعض اللغات الأجنبية ،

ولكنهم لم يقرؤوا مناقشة له ولا دحضا

أفما كان من الواجب الحتم علينا لا بنائنا في الجامعة الذين  
نخاف على أقدامهم أن نزل بعد ثبوتها ، وعلى عقيدتهم أن  
تزلزل بعد رسوخها ، أن ندلهم على بطلان هذه المطاعن وعلى  
مكان زيفها ؟ وان نقول للباطل هذا باطل ، وندل الناس على  
بطلانه . وأن نقول للفت الساقط هذا فت وساقط ونقيم  
الدليل على فشائته وسقوطه : بلى كان يجب علينا ذلك لا بناء  
الجامعة ولجمهرة القراء الذين قرؤوا الطعن . وللعلم والتاريخ  
والدين الاسلامي المجيد

لم يقم أحد بهذا ولا بجزء منه . أجذب في العقول  
فأبست ثمر ؟ أقوة في الشبهة فلم يوجد لها داحض ؟ أم شك  
العلماء في فهم القراء وعدلهم فظنوا أنهم لا يعرفون الحق  
إذا دلوا عليه ، ولا قبح القبيح إذا نبهوا اليه وليسوا ينصفون  
القاتل إذ يحكمون له أو عليه ؟

أما أنا فقد وثقت بعقول الناس، واطمأنت إلى عدلهم،  
فلمست أعتقد أن أحذاريه الليل، وتنبهه إلى ظلامه ودُجنته  
ولا يدرك ما فيه من ظلام ودُجنة، أو تريح النهار وضوءه  
ولا يدرك ما فيه من نور وضياء، وأعتقد أن عدلهم يأتي  
عليهم ألا أن يقولوا ما يعتقدون، ويؤمنوا بما يعلمون، فليس  
الذنب اذن ذنب الناس، إنما الذنب ذنب أهل العلم إذ تركوا  
الناس في عمية من أمرهم، ولم يزرخوا المبطلين عن فيهم.  
حتى أخذ الباطل في صولته، وانزوى الحق في جلالته.

بهذه الثقة، وهذا الاطمئنان إلى عدل الناس وفهمهم.  
أتقدم إلى القراء بنقد علمي لتلك الطعون الموجهة للقرآن  
الكريم، وسأكون واضحاً مفهوماً، أتجنب التعميد والمداورة،  
فإن كسبت اقتناع الناس فذلك ما أريد، وإلا فليست أحلمهم  
ذماً ولا لوماً، وإنما أحمل نفسي الذم واللوم، وأجمل التبعة

حلي لا عليهم

وأعد القراء وعدا صادقا ( ووعده الحر دين عليه ) ألا  
أخضع هذا النقد الا للعلم وحده ، والا أتحاكم فيه الا الى  
قضايا المنطق ، وما أثبتته التاريخ ، والا أقول فيه هذا كفر ، أو  
هذا يخالف الدين ، وانما أقول هذا يناقض الواقع ، ويخالف  
التاريخ ، لئلا يقولوا نحن نبحث بحنا علميا ، وأنت تخضعنا للدين .  
فأنا أناقشهم في هذا النقد كما يناقش رجل رجلا آخر نقد  
كتابا من غير الكتب المقدسة ، فيعرض نقده على الكتاب ليرى  
أهو يطابق الواقع أم يخالفه ؟ ولا يجعل من أدلته أن هذا  
الكتاب مقدس لا يليق أن يطعن فيه هذا الطعن ، أو أنك  
كفرت بهذه الجراءة المنكرة وخرجت عن قواعد الدين - هذا  
وعد قطعته على نفسي ، فلا يقوان أحد بعد ذلك : هذا تفكير  
حر - فليس معنى حرية التفكير الا بتقيد المرء بقواعد العلم ،  
وأن يخرج عن قضايا العقل وينافر المنطق والبرهان  
وسيكون شأني مع النقد لا مع الناقد ، وسأرد عليه

كشبهة لم يعرف قائلها ، وسأعرض للشبهة دون أن أعرض  
لصاحبها ، ليعلم الناس أنني إنما أردت خدمة العلم لا التشفي من  
أحد ، فإذا انتهيت من إقامة الدليل عرفت الناس منزلة هذا  
الناقد من البحث ، ومبلغه من العلم

## تلخيص المطاعن

« يتضمن هذا الطعن في القرآن أموراً :-

(١) أن القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة وبخلو  
عن المنطق فيقول ( قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون )  
إلى قوله ( لكم دينكم ولي دين ) أما القسم المدني فيناقش الخصوم  
بالحجة الهادئة ، والبرهان الساكن الرزين ، فيقول ( لو كان فيهما  
آلهة إلا الله لفسدتا )

(٢) أن القسم المكي منه يمتاز بكل مميزات الاوساط  
المنحطة كالعنف والشدة ، والقسوة والحدة ، والغضب والسباب  
والوعيد والتهديد ، مثل ( تبت يدا أبي لهب ) ( والعصر إن الانسان

لهي خسر) (فصب عليهم ربك سوط عذاب) (كلا لو تعلمون  
علم اليقين لترون الجحيم) أما القسم المدني فهادي، لين، وديع،  
مسالم، يقابل السوء بالحسنى، ويناقش الخصوم بالحجة المأدبة

(٣) ان القسم المدني يمتاز بتقطع الفكرة، واقتضاب المعاني،

وقصر الآيات، والخلو التام من التشريع والقوانين، كما يكثر  
فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم. أما القسم المدني فأفكاره  
منسجمة، متسلسلة، ترمي أحيانا الى غايات اجتماعية وأخلاقية،  
وفيه هدوء، ومنطق، وتشريع، وقصص، وتاريخ، وفيه  
التشريعات الإسلامية كالموارث، والوصايا، والزواج  
والطلاق، والبيع، والمعاملات

(٤) لا شك أن هذا الرقي الذي حدث للقرآن في القسم

المدني أثر واضح من آثار التوراة والبيئة اليهودية التي تنفت

المهاجرين الى يثرب ثقافة واضحة يشهد بها هذا التطور الفجائي

الذي ظهر على أسلوب القرآن، وهذا يتضمن ان النبي اعلم من

اليهود وأن القرآن من عمله، فلما اكتسب ثقافة من اليهود ظهر ذلك في أسلوب القرآن المدني

(٥) ان الحروف العربية غير المفهومة المفتوح بها أوائل بعض السور ، اما أن يكون قصدها التعمية، أو التهويل، أو اظهار القرآن في مظهر عميق مخيف ، أو هي رموز لتمييز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا

## النعوض والتفنيد

(١) الفرق بين المكي والمدني من القرآن

أصبح أن القسم المكي من القرآن كان خاليا من المنطق، وكان يهرب من المناقشة، وأن القسم المدني هو الذي كان فيه الحجة والبرهان .

اننا نجيب على ذلك (أولا) بتسايم ان القسم المدني فيه برهان ومنطق ، و (ثانيا) بأن القسم المكي كذلك مقم بالمنطق والبرهان ، وأنه ما كان يهرب من المناقشة بل

كان يقرع بالحجة ، ويصول بالدليل ، وإن الناقد نفسه ليعيننا على نفسه ، ويقدم لنا الدليل على نقض قوله ، فهو يلقى اليد بأن قول الله ( لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ) فيه حجة هادئة ، وبرهان ساكن رزين ، وليكنه يزعم باطلا أنها من المدني ، لا من المكي

ونحن نقول له وللناس جميعا : إنها مكية لا مدنية ، وإثبات ذلك سهل يسير ، فتلك الآية من سورة الانبياء ، وسورة الانبياء مكية ، ارجعوا الى أي كتاب من تلك الكتب التي ميزت المكي من المدني تجدوا ذلك موضعا ، بل ارجعوا الى أي مصحف من المصاحف تجدوا هذه الآية في سورة الانبياء ، وتجدوا سورة الانبياء قد كتبت في أولها أنها مكية ، وآياتها ١١٢ آية ، وأنها نزلت بعد سورة ابراهيم

فان لم يكف هذا وأيتم الا أن تسموا أقوال المؤرخين الذين ميزوا المكي من المدني نقلنا لكم مقالوه

قال نضر الدين الرازي في تفسيره : سورة الانبياء عليهم  
الصلوة والسلام مائة واثناعشرة آية مكية . وقال السيوطي  
في أسباب النزول : انها مكية

وقال صاحب روح المعاني : انها نزلت بمكة ، كما أخرجه  
ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم ، وفي  
البحر أنها مكية بلا خلاف ، وأطلق ذلك فيها واستثنى منها  
في الاتفاق قوله تعالى ( أفلا يرون أنا نأتي الارض فنقصها ) الآية  
وقال الشهاب على البيضاوي : انها مكية بالاتفاق ،  
وسميت بذلك لذكر قصص الانبياء فيها اهـ

فأتم ترون أن علماء هذا الشأن قد حكوا الاتفاق على  
أنها مكية ، ولم يحك أحد أن فيها آية مدنية إلا السيوطي فإنه  
استثنى منها في الاتفاق آية ( أفلا يرون أنا نأتي الارض فنقصها  
من أطرافها ) ومن ذلك نعلم أن الكل مجمعون على أن ما عدا  
آية ( أفلا يرون أنا نأتي الارض ) من سورة الانبياء مكية ،

ومن ذلك آية ( لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ) فهم مجنون  
علي انها مكينة ، ولم يخالف أحد من أهل العلم في ذلك



هذه سقطة لا يثل من سقطها للبدن وللفم ، أكان يظن  
ظان أن هذا المعترض الجريء يقدم بيده الحجة لخصمه عليه ،  
ويفند قوله بقوله ، ويكون عوننا لنا على نفسه ، مثل هذا  
الناقد فيما كبا به ، مثل من يقول : ان انكترا لم ترزق في عصورها  
المختلفة شاعرا مجيدا ، وأما فرنسا فقد رزقت من الشعراء النوابغ  
عددا ليس بالقليل ، هذا شكسبير شاعر فرنسا العظيم ، تعجز  
انكترا أن تنجي به مثله .

وهو لا يسمك الناس ، ان شكسبير شاعر انكليزي  
لا فرنسي ، وما دمت قد أعطيت اليد بأنه شاعر عظيم ،  
وما دام الواقع يثبت أنه انكليزي ، فقد نقضت دعواك أن  
انكترا لم ترزق بشاعر نابغ .  
لقد قرأت القرآن ، واستقرأت مدييه ومدنيه ، فرايت

أقوى البراهين وأروعها ، وأظهرها وأنصعبها ، وأقربها للجاحد  
وأملكها لقوى المعاند ، هي تلك البراهين المبسوثة في القسم المكي  
من القرآن ، وأن القسم المكي لم يكن يهرب من المساجلة ، وإنما  
كان يقتحمها ، وما كان يولي الأدبار ، بل كان يقدم على الخصوم  
أقدام الواثق بقوته ، المؤمن بحجته ، المطمئن إلى عزة  
الحق ، وفوز اليقين

لم يدع القسم المكي مطالبا من مطالب أصول الأيمان  
إلا أقام الدليل عليه ، ولم يدع شبهة من شبه الكافرين إلا  
دفع في صدرها بالحجة .

لأدري كيف تسنى للطاعن أن يزعم خلو القسم المكي  
من المنطق ، وهو وبه من المناقشة !!! ألا يعلم أنه ينكر كما يقول  
رجال القانون الوقائع المادية ، وأنه ليس أسهل على خصمه  
من أن يريه ويرى الناس تلك الحجج والمناقشات التي في  
القسم المكي ، وأن يبين له ما فيها من منطق وبرهان ، فتكون  
الفضيحة ، وتكون الهزيمة ، وهذا ما سنتمناه .

أكبر اللظن أن الطاعن لم يفهم أدلة القسم المسيحي ولا  
براهينه، وأعجزه أن يستبطن حجتها، فتورط فيما تورط فيه،  
ولا أظن أنه يعلمها ويغالط فيها، لاني لا أخال خصما يحترم  
نفسه، ياجأ في المغالطات الى انكار الوقائع المادية، بل هو ياجأ  
الى ما هو أصعب هدمًا، وأشد التواء على خصمه  
وسأسوق اليكم نماذج من مساجلات القسم المسيحي، وما  
فيها من منطق لتكون عنوانا على ما وراءها، فتعلموا كم أساء  
صاحب هذا الطعن الى العلم والى التاريخ



## النموذج الاول الحجج على البعث

وفيه شواهد

قد كان العرب ينكرون البعث لشبهه قامت عندهم (١)  
فحكي الله مذهبهم وشبههم ، وكر عليها بالحجج المبطله لها  
والثبته للبعث .

الشاهد الأول

قال في سورة ق المكية (ق ، والقرآن المجيد \* بل عجبوا  
أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب \*  
أئذا متنا وكنا ترابا با ذلك رجع بعيد \* قد علمنا ما تنقص الأرض  
منهم وعندنا كتاب حفيظ \* بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم  
في أمر مريج \* أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها  
وزيناها وما لها من فروج \* والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي

---

(١) انما أنكر البعث من أنكره منهم ومن غيرهم لاستبعاد وقوعه ، والعجب من حكايته كما يعلم من الشواهد الآتية .

وأنبئنا فيها من كل زوج بهيج \* تبصرة وذكورى لئكل عبد  
منيب \* ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبئنا به جنات وحب  
الخصيد \* والنخل باسقات لها طلع نضيد \* رزقا للعباد وأحيينا به  
بلدة ميتا كذلك الخروج \* كذبت قباهم قوم نوح وأصحاب  
الرس وعمود وعاد وفرعون وإخوان لوط \* وأصحاب الأيكة  
وقوم تبع ، كل كذب الرسل فحق وعيد \* أفمينا بالخلق الاول؟  
بل هم في لبس من خلق جديد )

هم يستبعدون البعث والاعادة فيقول لهم لقد خلقنا ما هو  
بأعظم . أفلم تنظروا الى السماء فوقكم كيف بنيناها؟ والى الارض  
يحتكم كيف مددناها؟ ثم قال انظروا الى الماء كيف تجريه الى  
أرض قاحلة لا زرع فيها ولا حياة فتحييها به ، فتخرج جنات  
نوح والخصيد ، كذلك الخروج ، خروجكم من أجدانكم ، ثم قال  
( أفمينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد ) أفعجزنا  
عن خلقكم أولا حتى تنكروا خلقكم ثانيا ، من قدر على البدء  
فهو قادر على الاعادة - بل هي عليه أهون

أفهروب هذا من المناقشة . أم تتحجم فيها؟ أخلو هذا  
من المنطق، أم أنتم لا تبصرون؟

### الشاهد الثاني

في سورة سبأ المكية ( وقال الذين كفروا هل  
غداكم على رجل ينبئكم إذا مضى قم كل ممزق إنكم لفي خلق  
جديد؟ \* أفترى على الله كذبا أم به يخنة؟ بل الذين لا يؤمنون  
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد \* أفلم يروا إلى ما بين  
أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم  
الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية  
لكل عبد منيب )

فهم يعيدون الشبهة ويعيد عليهم الحجة بالأساليب المختلفة  
ولقد أبرز هذه الحاجة في صورة تبين خذلانهم وإخامهم  
ولجاجهم وهروبهم من الحجة حين أقامها عليهم إلى شيء لم  
يكن موضع جدال ولا وقعت فيه خصومة

### الشاهد الثالث

قال في سورة الاسراء المكية . ( قل كونوا حجارة  
أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا ؟  
قل الذي فطركم أول مرة ، فسينفضون اليك رؤوسهم ويقولون  
متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا )

يقول : قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما ترونه  
عظيما لا يابن للطالين ، ويعجز القادرين ، فسيقولون من يعيدنا ؟  
قل الذي فطركم أول مرة ، فالذي خلقكم أولا يعيدكم ثانيا ،  
فسيحكون اليك رؤوسهم عجزا واستخذاء ، ويهربون من  
الحجة اذا بهرت ، ومن البينة اذا سطمت ، ويقولون متى هو ؟  
أتجدون أم تهزلون ؟ هل كان النزاع في متى هو أم كان النزاع  
في إحالته ؟ ولكن الله لم يشأ اعناتهم فقال انبياه ( قل عسى أن  
يكون قريبا )

### الشاهد الرابع

قال في سورة القيامة المكية . ( أليس الانسان أن

يُتْرَكُ سُدًى \* أَلَمْ يَكْ نَطْفَةٌ مِنْ مَنِيِّ يَمِينِي \* ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ خَلْقِي  
فَسَوْئِي \* جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى \* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ  
عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى ) ؟ بَلَى هُوَ قَادِرٌ

### الشاهد الخامس

في سورة يس المكية . ( أو لم ير الانسان أنا خلقناه  
من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* وضرب لنا مثلا ونسي خلقه  
قال من يحيي العظام وهي رميم \* قل يحييها الذي أنشأها أول  
مرة وهو بكل خالق عليم \* الذي جعل لكم من الشجر الأخضر  
نارا فإذا أنتم توقدون \* أو ليس الذي خلق السموات  
والارض بقادر على أن يخلق مثاهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم ، إنما  
أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده  
ملكوت كل شيء ، وإليه ترجعون ) ما أبغ قوله ونسي خلقه إلا  
أي لو ذكر خلقه لما أنكر الاعادة ، وهذا كما تقول لمن أحسنت  
إليه وجهد الاحسان : أتجحدني إحساني إليك ، وتنسى الشيايب  
التي عليك ؟

ولما كان تعذر الاعادة انما يكون لقصور علمه « أو  
قصور قدرته، بين أنه لا جهل عند من هو بكل شيء عليم،  
ولا عجز عند من خلق السموات والارض ولم يعي بمخلقه من .

## النموذج الثاني

(البراهين على وجود إله العالم وخالق الكون في القسم  
الملكى وفيه شواهد)

### الشاهد الأول

قوله تعالى في سورة النبا المكية ( ألم نجعل الارض  
مهاداً . والجبال أوتاداً . وخلقناكم أزواجاً . وجعلنا نومكم سباتاً .  
وجعلنا الليل لباساً . وجعلنا النهار معاشاً . ونبتنا فوقكم سبعاً  
شداداً . وجعلنا سراجاً وهاجاً . وأنزلنا من المعصرات ماء  
مجاجاً . لنخرج به حياء ونباتاً . وجنات ألفافاً )

### الشاهد الثاني

في سورة عبس المكية ( فلينظر الانسان إلى طعامه أنا

صبينا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فأنبطنا فيها حبا . وعنبا  
وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا  
لكم ولا نعامكم )

### الشاهد الثالث

في سورة الفرقان المكية ( تبارك الذي جعل في السماء  
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا \* وهو الذي جعل الليل  
والنهار خالفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا )  
وما تلونا عليك يشير إلى دليل برهاني، ليس أسطع ولا  
أقوى منه، وهو مع ذلك على غاية من الوضوح والسهولة، يكاد  
يكون في طبيعة الخلق جميعا . فهو يشير إلى أن هذا الكون  
خلق ككائن واحد ، وأن بعضه مكمل لبعضه والناتية والعناية  
تظهران في كل ما فيه ، فقد مهدت الارض لتصلح لسكنى الانسان  
والحيوان والنبات وجعلت الجبال لتمسكها . أن تزول ، وخلق  
الذكر والانثى من الانسان والحيوان والنبات ليتوالدوا

وليعمر بهم الكون . وجعل الليل سكنا لهم . والنهار ليزاولوا فيه  
معايشهم ، وجعلت السماء بحيث لا تنطبق على الارض ، وجعلت  
فيها الشمس سراجا مضيئا ، بل أين منها كل السرج والثريات  
الكهربائية في جميع أنحاء المعمور ؟ إنها لا تنفي فناءها ، ولا  
تضيء ضوءها ، ولولاها لكان الناس في ظلام دامس ، تثقل  
عليهم الحياة . ولا يقدرّون على تحصيل عيشهم ومنتهم . وكما  
أنها منبع للنور هي منبع للحرارة التي بها الحياة . ولولا الحرارة  
التي تنمي الكائنات ، لما وجدت حياة حيوان ولا نبات . وأنزل  
ماء كثير كان به حياة الناس في سقيهم وإخراج الزرع التي  
بها حياتهم وحياة مواشيهم . وكل هذا يدل على أن له خالقا  
خلقه ورتبه هذا الترتيب المحكم ، ونظامه هذا النظام البديع ،  
وأراد منه هذه الفوائد ، إذ قد جابت العقول وأودعت الفطن  
أن كل فعل منظم ، فيه غاية معينة ، فهو عن فاعل ، لم توجد  
المصادفة ، ولم يوجد وحده

ومثل الدهري الذي ينكر الآله كمثل رجل يرى ساعة  
بدقاقة، ذات عقارب وتروس وعدد ومسامير، وقد فصلت وركبت  
أجزاءها ليدير هذا ذاك وذاك هذا إلى الاخير فيدير العقر بين  
تفسيرات على سطح مقسم إلى ( اثني عشر قسما وكل قسم  
إلى خمسة أقسام) لتدلا على الساعات والدقائق ثم يزعم أن هذا  
الصنع المحكم، والنظام المتقن، الذي شملته العناية، وعمته العناية.  
وأريد منه شيء مخصوص بحيث لو فقد جزء آمن أجزائه، أو  
لو ركب أي جزء منه غير هذا التركيب، أو وضع غير هذا  
الوضع، لما تحركت الساعة هذه الحركة المنتظمة، ولما دلت  
على أجزاء الزمن ومعرفة الاوقات . - نقول: يزعم أن هذا  
الصنع المحكم أو جدته المصادفة، وليس له فاعل مختار - هو من  
تنبؤ عنه الفطر، وتمجده العقول

وإن أي جزء من الكون أشد تعقيدا وأكثر آلات  
من الساعة . هذا الانسان مثلا كم فيه من آلات دقيقة  
وأجهزة . وكم فيه من أعضاء خفية لها وظائف لولاها لم تقم

حياته به ، بجهاز للتنفس ، وجهاز للهضم ، وجهاز للدورة الدموية . وآلات للشم وأخرى للبصر . وثانية للسمع وثالثة للحس ورابعة للحركة . وان كل ما فيه يؤدي وظيفته ثم أنه ركب على نحو من التركيب المحكم الصنع ، المنظم الوضع ، ليتمكن من أداء تلك الوظيفة تمكناً سهلاً مريحاً ( فاليدان مثلاً جعلتا بحيث يعمل بهما المرء من غير عناء ومشقة ) ولذلك كانتا ذواتي مفاصل عديدة ، صالحة للانقباض والانبساط ، ولوجعات اليد كالخشبة لما أمكن أن تؤدي مهمتها . وإذا كانت الساعة لما فيها من تركيب ودقة يحيل العقل ان تكون صدرت إلا عن فاعل ، فبالحرى يحيل العقل أن يكون الانسان صادراً إلا عن فاعل .

وكذلك قل في كل ما في السكون من أجزاء فقها تناسب في نفسها ، وهي مناسبة بعضها لبعض . وهذا هو الدليل الذي أشارت إليه الآيات المكية التي تلونها عليك ، وهو مع سهولته

التي يفهمه لأجلها الجمهور برهاني ، يقبله أولوا العلم ويقنعهم  
ولكنهم يفضلون العامة في فهمه ، لا من جهة أنهم يطلعون على  
حكم كثيرة في الكون أكثر مما يعلمه الجماهير فقط ، بل من  
جهة الكيفية أيضا ، فعالم التشريح مثلا يعلم من خواص  
الاعضاء أكثر مما يعلم الجمهور ، ويعلم كقيمتها ودقتها ، ولذلك  
كلما ازداد المرء علما بالكون ازداد علما ويقينا بوجود الخالق  
وقدرته وعلمه وعظمته إذا انساق مع فطرته ولا حظما نبهنا إليه

نقل الفيلسوف سبنسر عن الاستاذ هكسلي ما يأتي .

« ليس العلم الطبيعي منافيا للدين بل المنافي للدين هو  
ترك ذلك العلم ، والامتناع من دراسة المخلوقات المحيطة بنا ،  
وإليك مثلا حقيراً .

إذا كان أحد الكتاب لا تزال الناس تمدحه وتثني عليه  
بأبلغ عبارات الشكر والتعجب ، وإذا كانت مواضع هذا الحمد  
والثناء هي حكمة مؤلفات ذلك الكاتب وجلالها وجمالها ، وإذا

كان مادحو تلك المؤانفات يكتفون بالنظر إلى ظواهرها ، فهم  
لم يفتحوها قط ليفهموا ما تحتويه ، فأى قيمة تكون إذا لذلك  
الثناء والمدح ، هذه اذا قست الامور حال البشر عموما إزاء  
هذا الكون وصالته ، فالتوجه للعالم الطبيعي عبادة صامتة هي  
اعتراف صامت بنفاسة الاشياء التي تعين وتدرس ، ثم بقدره  
خالقها ، فليس التوجه للعالم تسبيحا شفويا ، بل هو تسبيح عملي  
كيس هو باحترام مدعى ، بل احترام أثبتته تضحية الوقت  
والتفكير والعمل .

### الشاهد الرابع

في سورة الفاشية المنكية ( أفلا ينظرون الى  
الابل كيف خلقت \* والى السماء كيف رُفعت \* والى الجبال  
كيف نُصبت \* والى الارض كيف سُطحت \* فذكر إنما أنت  
مذكر \* لست عليهم بمسيطر \* إلا من تولى وكفر \* فيمذبه  
الله العذاب الاكبر \* إن اليينا إياهم \* ثم إن علينا حسابهم )

هذا حض على النظر في الطبيعة ومعرفة أسرارها، ليتوصل  
من ذلك إلى معرفة المبدع الأول، فقد اتحد الطريقتان طريق  
الفلاسفة الطبيعيين، وطريق القرآن الكريم

## النموذج الثالث

﴿ ما أقام من الأدلة على وحدانية الله وفيه شواهد ﴾

### الشاهد الأول

في سورة الانبياء المكية ( لو كان فيما آلهة إلا الله

الفسدتا )

### الشاهد الثاني

في سورة المؤمنون المكية ( قل لمن الأرض ومن فيها

إن كنتم تعلمون \* سيقولون لله قل أفلا تذكرون \* قل

من رب السموات السبع ورب العرش العظيم \* سيقولون لله قل

أفلا تتقون \* قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا

يجار عليه إن كنتم تعلمون \* سيقولون لله قل فأنى يسحرون \*  
بل أتيناكم بالحق وإنهم لكاذبون \* ما اتخذ الله من ولد وما  
كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على  
بعض سبحانه الله عما يصفون \* عالم الغيب والشهادة فتعالى  
عما يشركون )

## النموذج الرابع

(مناظرته إياهم عند ما كانوا يحاورونه في نبي رسالته وفيه شواهد)  
الشاهد الأول

في مفتتح سورة الانبياء المكية ( اقرب للناس  
حسابهم وهم في غفلة معرضون \* ما يأتيهم من ذكر من ربهم  
مُحَدَّثٌ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وهم يلعبون \* لاهية قلوبهم وأسروا  
النجوى الذين ظلموا: هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر  
وأنتم تبصرون ؟ ) الى أن قال ( وما أرسلنا قبلك إلا رجالا  
نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون )

استبعدوا أن يكون محمد رسولا نبيا لانه بشر مثلهم  
فقال الله ردا عليهم (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى اليهم)  
نوحا ، و ابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، و الانبياء السابقين ،  
و انبياء بني اسرائيل ( فاسألوا أهل الذكر ) من اليهود والنصارى  
( ان كنتم لاتعلمون )

### الشاهد الثاني

في سورة الفرقان المكية ( وقالوا ما لهذا الرسول  
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لو انزل اليه ملك فيكون  
معه نذيرا . أو يلقى اليه كنز . أو تكون له جنة يأكل منها  
وقال الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف  
ضربوا لك الامثال فضفوا فلا يستطيعون سبيلا . تبارك الذي  
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار  
ويجعل لك قصورا - الى ان قال - وما أرسلنا قبلك من المرسلين  
الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجمانا بعضكم  
لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا )

### الشاهد الثالث

في سورة الاحقاف المكية . ( أم يقولون افتراه قل  
ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون  
فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم . قل ما كنت  
بِدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع إلا  
ما يوحى الى وما أنا إلا نذير مبين )

## النموذج الخامس

﴿ مناظرته إياهم حينما زعموا أنه يعلمه بشر ﴾

في سورة النحل المكية — ولقد علم أنهم يقولون إنما  
يعلمه بشر ، لسان الذي يُحدون إليه أعجمي وهذا لسانٌ

(عربي مبين)

## النموذج السادس

﴿ مناظرته إياهم حينما كانوا يرون أن العاقبة لهم وهو يرى  
أن العاقبة للمؤمنين وفيه شواهد ﴾

### الشاهد الأول

في سورة القمر المكية قال عقيب اخباره عن عقوبات  
الامم المكذبة لرسالهم كقوم فرعون وعاد وثمود ، ( أكفاركم  
خير من أولئكم أم لكم براعة في الزبر \* أم يقولون نحن جميع  
منتصر \* سيهزم الجمع ويولون الدبر )

يقول أهلكت هذا الامم لانهم كذبوا الرسل ، وأعرضوا  
عن هدايتهم ، وأصروا على شركهم وخرافاتهم ، وأنتم مثلهم  
فسيصيبكم ما أصابهم ، وإذا كنتم شركاءهم في علة الهلاك فانتم  
شركاؤهم في وخامة العاقبة ، وسوء المنقلب

### الشاهد الثاني

في سورة الاحقاف المكية في شأن قوم عاد ( فلما

وأوه عارضا مستقبلا أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو  
ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم \* تدمر كل شيء بأمر ربها  
فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين \*  
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة  
فما أفني عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا  
يمجدون بآيات الله وفاق بهم ما كانوا به يستهزئون

\*  
\*\*

يقول ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ، فخكمكم كحكمهم  
وإذا كنا قد أهلكناهم بمعصية رسولنا فلم يدفع عنهم ما مكنا  
فيه من أسباب العيش والقوة ، فأنتم كذلك تسوية بين المتماثلين  
الذين اشتركا في علة الحكم

الشاهد الثالث

في سورة الانعام المكية . ( ألم يروا كم أهلكنا من

قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم يتمكن لكم (١) وأرسلنا  
السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهاكناهم  
بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين \* ولقد استهزئوا  
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون.  
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين)  
أمر بالسير في الارض ليعتبروا وليعلموا ما حاق بالمكذبين  
المستهزئين الفاسقين عن السنن الالهية - وللكافرين أمثالها

---

(١) جاء في نكتة البلاغة ودقة اللغة في الآية من تفسير المنار  
ان فيها احتياكا تقديره ( مكناهم في الارض ما لم يتمكنكم ، ومكنا  
لهم ما لم يتمكن لكم ) ومعنى الاول أنهم كانوا أشد منكم قوة وتمكنا  
في أرضهم ، فلم يوجد حولهم من يضارعهم في قوتهم ، و يقدر على  
سباب استقلالهم ، ومعنى الثاني أننا أعطيناهم من أسباب التمكين في  
الارض وضروب التصرف وأنواع النعم ما لم نعظكم . فحذف من كل  
من المتقابلين ما أثبت نظيره في الآخر ، وهذا من أعلى فنون الایجاز  
الذي وصل في القرآن الى أوج الاعجاز ، ويصدق كل من التمكينين  
على قوم عاد وثمود وقوم فرعون وغيرهم كما يعلم من قصص الرسل  
في القرآن ومن التاريخ العام

أيهما السائل عما مضى من علم هذا الزمن الذاهب  
إن كنت تبغي العلم أو نحوه في شاهد يخبر عن غائب  
فاعتبر الشيء بأشباهه واعتبر الصاحب بالصاحب

\*\*\*

تأث في الأمر إذا رمته تبين الرشدهم الغي  
لا تتبين كل نار ترى فالنار قد توقد لاجكي  
وقس على الشيء بأشكاله بذلك الشيء على الشيء

### الشاهد الرابع

في سورة الزمل المسكية . ( أنا أرسلنا إليكم رسولا  
شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فمضى فرعون  
الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً فكيف تتقون إن كفرتم يوماً  
يجعل الولدان شيباً . السماء منقطر به كان وعده منعمولا )

يقول : أنا أرسلنا محمدا إليكم كما أرسلنا إلى فرعون موسى  
فمضى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً . فمكذمان  
عصى منكم محمدا

لقد كان في بعض ما أوردناه من الآيات كفاية فيما قصدناه  
من اثبات مساجلة القسم المكي من القرآن الخصوم ، وعدم  
هروبه من المناقشة ، وإثبات أن فيه منطقا وعقلا . ولكننا أردنا  
أن نطيل النفس في هذا الموضوع لتكون الحججة ألزم ، والبينة  
أسطع ، ولأنها دراسة نافعة لقسم عظيم من القرآن ، يتبين فيها  
المراء كيف كان جدالهم مع خصومهم ، ويستعرض فيها شبه الخصوم  
ورده عابها ، وأظن أن هذه دراسة نافعة وغير مملة ، إن لم نقل  
إنها شيقة وممتعة ، فمن شاء فليقتصر على ما قدمناه ، ومن أراد  
المزيد من هذا الدرس فليقرأ القسم المكي منه فقيه من هذا  
الشيء الكثير ، وقد فتحنا لكم بابه

لقد علمنا من كل ما تقدم أن القسم المكي من القرآن يكاد  
يكون كله حجاجا وجدلا مع الكافرين ، وفيه كان يتكلم إن لم  
يحاور ، ويرد الشبهة ، ويفاج بالحجة . وإن الذي يزعم أنه كان  
يهرب من المناقشة وأنه خال من المنطق لم يدرس هذا القسم  
منه فجعله ، أو هو قد درسه وعلم ما فيه ووثق من أن سامعيه

لم يدرسوه ، فأراد أن يلبس عليهم ويזור، ورأي المجال واسعا  
لللبس والتزوير

وأما سورة الكافرون التي استدلت بها على هروبه من  
المنافشة، فليس يأخذ أحد منها الهروب من المنافشة، فقد ذكر  
المؤرخون في سبب نزولها ان كفار قريش طلبوا من محمد أن  
يعبد آلهتهم سنة، ويعبدواهم اليه سنة، فنزل (قل يا أيها الكافرون  
لا أعبد ما تعبدون) اثنا عشر عاماً وسدا لطمعهم أن يلبس محمد أو  
يعترف بعبادة ما كانوا يشركون ، على انه إذا لم يطالع المرء  
على سبب هذا النزول لا يمكن أن يفهم منها الهروب من  
المنافشة ، إذ هو يراه في جميع الآيات قد أقام عليهم الحجج  
وأخذ بمخائقتهم ، وسد عليهم كل باب (١) ثم جاءهم في هذه الآية  
بقال ( لكم دينكم ولي دين ) كما يقول القائل ما أقام هو عليه  
الحجة: قد أقت الدليل ، ووضحت السبيل ، ولك بعد ما تختار ،

---

(١) أو كما قال الامام عبد القاهر في دلائل الاعجاز: قد أسأل  
عليهم الوادي عجزاً ، وأخذ عليهم منافذ القول أخذاً

ذلك ما تريد ولي ما أريد، إدلالاً بقوته، وتبكيته بالخصمه، وإشعاراً  
الله بأنه إذا سلك ما سلك ، فمن ضعف في السلم والارادة  
والاختيار، وعن جهل بالنافع والخير

أهذا هو النقد العلمي، والبحث المنطقي؟ اللهم ان القوم  
قد تلاعبوا بالألفاظ، وبعدوا بها عن معانيها، وأطلقوها على  
اضدادها. فهذا النقد يصح أن يسمى أي شيء إلا اسم العلم،  
وأن يدخل في أي باب الا باب البحث - تسموا الأشياء  
بأسمائها، ودعوا الخداع والمراوغة، وقولوا: إلحاد باسم العلم  
تسميه، وضلال باسم البحث تزجيه، وما بنا خدمة البحث  
والتفكير، ولكن بنا فتنة أبناء المسلمين عن دينهم لحاجة في  
دخيلة النفس، نجمهم دونها ولا نظرها، ونظير غيرها ونسرها

---

## تفسير الطعن الثاني

أصبح أن القسم المكي من القرآن يمتاز بكل مميزات  
الأوساط المنحطة كالعنف والشدة ، والقسوة والحدة ،  
والغضب والسباب ، والوعيد والتهديد

لقد قال الناقد ذلك واستدل بسورة (تبتيدا أي لهب)  
( والمعصر ان الانسان لفي خسر ) (فصب عليهم ربك سوط  
عذاب ) ( كلالو تعلمون علم اليقين اترون الجحيم ) وزعم ان  
القسم المدني وديع مسلم يقابل السوء بالحسني

ونحن نخالفة في هذا ونرى أن القرآن جميعه يمتاز بكل  
أنواع السموم والرفسة ، والوقار والجلال ، فهو اذا اشتد فعلى  
الفاسقين المفسدين يشتد ، واذا لان فللصالحين الأختيار يابن ،  
ولا تنس أن شدته هذه ولينه في الوعد والوعيد ، وكلاهما  
لصلاح النوع الانساني ، وما يعاب كتاب كالقرآن بذلك

أما الآيات التي استدلت بها على أن في القرآن سبابا وما  
إلى ذلك من مميزات الأوساط المنحطة، فسنناقشه فيها آية آية  
( براءة سورة تبت يدا من هذه العيوب )

أما سورة (تبت يدا أبي لهب) فليس يعرف الناقد سبب  
نزولها، ولذلك تورط فيما تورط فيه، ونحن نسوق سبب نزولها  
ومعناها ليعلم الناس أنها ليست سبابا، وإنما هي وعيد وانذار  
أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال صعد رسول  
الله ﷺ ذات يوم الصفا فقال «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش  
فقالوا مالك؟ قال «أرايتكم ان أخبرتكم ان العدو مصبحكم أو  
ممسئكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا بلى، قال فاني نذير لكم بين  
يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب تبأ لك، ألهذا دعوتنا وجمعتنا؟  
فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب) إلى آخرها

وأخرج أيضا عن ابن عباس في قوله (وامراته جمالة  
الخطب) قال كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبي ﷺ  
ليعقره وأصحابه . ويقال جمالة الخطب نقاله الحديث ، فهو

يذُرُ أبا لهب بأنه خسِر وسيصلى ناراً، لأنه لم يؤمن بالله وصد  
عن سبيله، وستكون امرأته كذلك لعدم إيمانها، ولأنها تؤذي  
النبي وأصحابه بوضعها الشوك في طريقه ليعقره، وأولاً أنها تنقل  
الحديث وتمشي بالتميمة بين الناس . أرأيت الآن أنها ليست  
سباباً، وإنما هي انذار ووعيد لابني لهب وامرأته لصددهما من  
الاسلام، وهذا الانذار خير أبي لهب وامرأته، وخير العالم، إذ  
من خير العالم ألا تقام العراقيل في سبيل مرشديه الى طريق  
الخير، وهاديه الى سواء السبيل، ومجدديه كلما بلي وتعفن،  
وظفت فيه الرذيلة على الفضيلة

(براءة سورة والعصر)

وأما سورة (والعصر) إن الانسان لفي خسِر\* إلا الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)  
فلا أدري ماني هذه من حدة وعنف وسباب !! ان للسورة  
تشير الى قضية ثابتة من قضايا الكون التي تتغير الارض ومن  
عليها ولا تتغير، وهي أن الناس قسمان: قسم قوي إيمانهم ورسخ

يقينهم وعملوا الصالحات، واستمسكوا بالحق وبالصبر، فاعتدلت  
قوتهم العلمية، واستقامت أعمالهم، وحسنت أخلاقهم. وكان  
رائد هم الحق، وأعمالهم مبنية على الصبر، وهم يتواصون فيما بينهم  
بالحق والصبر، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهؤلاء  
هم الذين كتب لهم التفاضر بالسعادة والنجاح

وقسم على النقيض من سابقهم، قد ضعف إيمانهم،  
وزلزل يقينهم، وكانت أعمالهم ظالمة وجائرة، وأخلاقهم فاسدة،  
ولم تكن للحق سيطرة على قلوبهم، وكانوا ضعفاء الإرادة،  
لا يثبتون على شيء، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، فهؤلاء في  
خسار وفي تبار

هل اختبار الافراد والامم من بدء الخليقة الى الان  
الا يصدق هذه القاعدة الخلقية الابدية، والقسم المبني قد  
ذكرها ليحض الناس على اتقن ما في الكون وهو اليقين وحب  
الحق، وعمل الصالح، والصبر على ما في الوجود من شدائد

وهل انحط فرد أو أمة الإبيشيوع أضدادها من الرذائل فيها؟  
أليس فقدان الإيمان أو ضعفه مما يضعف الأمة؟ أليست الأعمال  
الفاسدة من الظلم، والرشوة، وأكل السحت وعدم احترام  
الحق وعدم الثوابي به مما يضعفها أيضا؟ أليس خور العزيمة،  
وفقدان الصبر، مما يبديد الأمم؟ أليست هذه الرذائل مجتمعة  
في أمة قاضية وشيكا بزوالها من الوجود؟

لو قدر أن يبيد هذا العالم وما فيه من علم وأدب وحكمة،  
ونشأ جيل جديد لم يرث شيئا من علم الأولين وأخلاقهم. ولكنه  
بقي له سورة (والمصر) لكان فيها سداد من عوز، وعوض عن  
الجميع، ولجاز أن تكون مادة اصلاح يحيا عليها ذلك الجيل  
الجديد، ويمجد فيها أصول الفضائل العلمية والعملية

قال الاستاذ الامام في تفسير هذه السورة ثم تراها لم تدع  
شيئا إلا أحرزته في عباها الموجزة، حتى قال الامام الشافعي  
رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، وقال: لو لم ينزل  
٤ - نقض مطاعن

من القرآن سواها لكفت الناس ، ولجلالة ما جمعت روي أنه  
كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا  
التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة والعصر ثم  
يسلم على الآخر ، ذلك ليذكر كل منهما صاحبه بما يجب أن  
يكون عليه « اه (١)

وما قيل هناك يقال مثله في هذه السورة الكريمة  
( ألهاكم التكائر . حتى زرتم المقابر . كلا سوف تعلمون . ثم كلا  
سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين . اترون الجحيم .

---

(١) وجملته القول في السورة أنها قررت قاعدة اجتماعية لنوع  
الانسان انه يكون في خسر من سيرته وعمله في زمنه الا الذين  
يجمعون بين الايمان الصحيح والعمل الصالح في حياتهم الشخصية ،  
وبين التواصي بالحق والتواصي بالصبر الذي يعينهم على النهوض ب  
في حياتهم الاجتماعية ، فليس في هذه الحكمة العالية سب ولا غلظة  
على احد ولا على قوم ، لانها بيان لحقيقة حال النوع ، وأما الاقسام  
عليها بالعصر ففيه تعريض بمتبعي الاوهام ، الذين يتشاءمون بالزمان ،  
وارشاد الى ان الوقت هو رأس المال ، واضاعته هي الخسران .

وأما قوله ( فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك  
بالمرصاد ) فذلك في القوم الذين طغوا في البلاد فأكثر وافياها  
الفساد، فهو يخبرنا بذلك لنحذر أن نطغى مثل طغيانهم، ونفسد  
مثل فسادهم

﴿ ميل القسم المكي الى اللين والنفوة ﴾

وبالجملة دعواه أن القسم المكي يتفرد بالحدة والشدة الخ  
تكذيبها دراسة القرآن نفسه، وما عرف عن القسم المكي من  
ميله إلى اللين والنفوة، اقرأ قوله تعالى في سورة الشورى المكية  
( وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله  
خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون \* والذين يجتنبون  
كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون \* والذين  
استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما  
رزقناهم ينفقون \* والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون \* ووراء  
سيدة سيئة مثلها فمن عفا وأصاح فأجره على الله إنه لا يحب

الظالمين \* ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل \*  
إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبنون في الأرض بغير  
الحق أولئك لهم عذاب أليم \* ولمن صبر وفقر إن ذلك لبيّن  
عزم الأمور)

وقال في سورة فصلت المكية (ومن أحسن قولاً ممن  
دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين \* ولا تستوي  
الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه  
عداوة كانه وليّ حميم . وما يُلَقَّأها إلا الذين صبروا وما  
يُلَقَّأها إلا ذو حظ عظيم) (١)

وقال في سورة الحجر المكية

(ولتد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم \* لا تدق  
عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض

---

(١) أرشد إلى هداية العقل وتحكيمه في التفرقة بين الحسنة  
والسيئة وفي عواقب الاعمال وغاياتها في المعاملة ، وكون الحسنى تحول  
العداوة ، إلى الحب والولاية

بجناحك المؤمنین \* وقل إني أنا النذير المبين \* كما أنزلنا على  
المقتسمين \* الذين جعلوا القرآن عضين \* فو ربك لنسألنهم  
أجمعين \* عما كانوا يعملون \* فاصدع بما تؤمر وأعرض عن  
المشركين \* إنا كفيناك المستهزئين \* الذين يجعلون مع الله إلهًا  
آخر فسوف يعلمون \* ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما  
يقولون \* فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين \* واعبد ربك  
حتى يأتيك اليقين )

﴿ اشتغال كل من المكي والمدني على الوعد والوعيد ﴾

ولعله يريد من الشدة والعنف التهديد والوعيد، ومن  
الذين الوعد، فإن أراد ذلك قلنا إن المكي فيه وعد وإطباع، كما  
المدني فيه تهديد ووعيد، ومن عادة القرآن أن يجمع بين الوعد  
والوعيد لئلا يقطع الناس الأمل، أو يتكلموا فيتركو العمل،  
اقرأ قوله تعالى في سورة الحجر المكية ( نبيء عبادي أنا  
الغفور الرحيم \* وأن عذابي هو العذاب الأليم ) وقوله في

سورة الزمر المكية ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم  
لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو  
الغفور الرحيم ) ثم اقرأ في سورة البقرة المدنية . ( فان لم  
تعملوا ولن تعملوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة  
عدت للكافرين ) و اقرأ في سورة النساء المدنية ( ان الذين  
ياكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا  
وسيلون سعيرا )

هنا نندا إلى الآن في هذين القسمين قد وفيت بما وعدت  
فلم أخاصم الناقد الى الدين ، بل خاصمته الى العقل ، ولم أحتج  
عليه بأن هذا الكتاب مقدس ، بل احتججت عليه بأن نقده  
لا يطابق الواقع ، وأقت له من الشواهد والامثال ما به يؤوب  
المنصف الى حظيرة الحق ، ويخزي الكابر ، ويظلم وجهه  
مسودا وهو كظيم .

وقد وفينا أيضا بما وعدنا من أننا نعرض للفكرة  
لأصحابها ، فناقشنا الفكرة ، دون أن نعرض للناقد ، وحمّلنا  
النفس على مكر وهما إذ رأينا كلاما أشبه بهذيان المحموم ، فجادلناه  
كأنه عن عاقل صدر ، وسمعنا ما ينشئ النفس فتصبرنا ، وما يهيج  
الأعصاب فاحتملنا ، فهل يحاني القراء بعد ذلك لا قول في الناقد  
كلمة ؟ لا أظن إلا أنهم يحلونني ، فقد ضجروا كما ضجرت ،  
وأثقلوا كما أثقلت .

---

## كلمة في هذا الطاعن على القرآن

لقد قرأت ما كتبه دعاة النصرانية والملاحدة، وما كتبه هذا الناقد في نقده، فرأيت ما كتبه هذا الناقد أشد تهافتا، وأضعف حجة، وأقل خضوعا لقوانين العقل والمنطق، وذلك وإن كان يعمها جميعا ولكن بعض الشر أهون من بعض - وهذا لأن الأولين أعمق علما، ولأنهم يستحيون بعض الحياء من مثل هذا التورط الشائن، وأما هذا الناقد فهو لا يبالي بيومه، لأنه يرى أن أمته أجهل من أن تنقد رأيا علميا، وأن سامعيه همج رعاع أتباع كل ناعق، ولا يبالي بعده، ولا بحكم الاجيال بعده، لأنه إنما يعيش ليومه، فاذا نفق فيه عند بعض مستمعيه فلا يبالي بعد أن تسقطه الاجيال، أو تخطفه الطير، أو تهوي به الريح في مكان سحيق

يا قوم اعذرونا اذا رأيتمونا نحقر هذا الناقد وأمثاله.

فنعن نعلم من خفاياهم ومن جهلهم ما قد أظهرناكم على بعض  
منه، فهم جهلاء، وقد المسناكم جهلهم، وهذا نموذج لما وراءه،  
وليسوا بجهلاء فحسب، لأنهم يخذعون العامة ويدعون أكثر  
مما عندهم، فهم جهلاء وأدعياء، وليسوا كذلك فحسب، لأنهم  
يفسدون على الأمة أعز شيء لديها: دينها، وأخلاقها، وهي  
بدونها كومة من أنقاض، لا رابطة تربطها، ولا جامعة تجمعها،  
فهم جهلاء، وأدعياء، ومفسدون، وليسوا كذلك فحسب  
لأنهم عن علم يفسدون، فهم جهلاء وأدعياء ومفسدون، وسيثو  
لنية فيما يفسدون. ومعدور من يقف بين القبور فيرى الرمم  
البيالية، والدود والصديد، ويظهر منه التقرز والاشمزاز

---

## تفسير الطعم الثالث

يقول هذا الطعان :

ان القسم المكي يمتاز بتقطع الفكرة، واقتضاب المعاني ،  
وقصر الآيات ، واخلو التام من التشريع والقوانين ، كما يكثر  
فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم . أما القسم المدني فأفكاره  
منسجمة متسلسلة، ترمي أحيانا الى غايات اجتماعية وأخلاقية،  
وفيه هدوء ومنطق وتشريع وقصص وتاريخ ، وفيه التشريعات  
الاسلامية، كالأرث والوصايا والزواج والطلاق والبيوع  
والمعاملات . هكذا يقول الناقد

﴿ تنزيه القسم المكي عن تقطع الفكرة ، واقتضاب المعاني ﴾  
إن الذي يقرأ القرآن ولا يتدبره ، ولا يكاف نفسه  
الصبر لمعرفة أغراضه ، هو الذي لا يستبين كثيرا منها ،  
فيبدو له متقطع الفكرة، مقتضب المعاني، ولكن الذي يتدبره  
وينعم النظر فيه، ويقرؤه على سبيل الاعتبار، ويكون مع ذلك

قد أوتي طبعا سايبا ، ودربة على معرفة منطلق العرب الذين يكتبون باللمحة والوحي السريع ، يدرك كثيرا من أغراضه ، ويبدو له قصده ، فيرى الآيات الكثيرة في غرض واحد كالحلقة المفردة مرتبطة بعضها ببعض أتم ارتباط ، حتى إن السورة الواحدة المكية الطويلة قد تكون في غرض واحد يشملها ويعمها ، وسأضرب لذلك مثلا

هذه سورة الانعام المكية ، مقدارها ١٦٥ آية ، قد انتظمها غرض واحد وهو ابطال الشرك (١) فترؤها جميعها فتجدها في هذا الغرض ، وما سبق فيها فهو لهذه الغاية ، ولولا ضيق المقام لاستوعبتها جميعها ، ويثبت كيف توجه الى هذا الغرض ، ولكننا نشير هنا اشارة موجزة

بدأ الله تعالى هذه السورة بحمد نفسه أو استحقاقه الحمد ،

---

١) أي أن موضوعها الأهم المقصود بالذات ابطال الشرك بدحض أوهامه وخرافته واثبات التوحيد ، ويليه إثبات الرسالة ودحض شبهاتهم عليها ، مع إلام باثبات البعث أيضا ، فجملة السورة في أصول العقائد الثلاث ، والوصايا التي في آخرها هي الحجية الأدبية على حقيقتها.

وأنه خالق السموات والارض، وجعل الظلمات والنور، وأنه  
بعد أن أنعم بهذه النعم يعدل به الذين كفروا الاوثان والانداد،  
وكل ما ذكر بعد توجه نحو هذه الغاية - ابطال الشرك - فتجده  
يقول بعد ١٢ آية ( وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع  
العليم \* قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو  
يُطعم ولا يُطعم؟ قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا  
تكونن من المشركين ) ويقول بعد ( أنتم لتشهدون ان مع  
الله آلهة أخرى؟ قل لا أشهد، قل انما هو إله واحد وانني بريء مما  
تشركون ) ويقول بعد ٣٩ آية ( قل أرايتكم ان اتاكم عذاب  
الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين \* بل اياه  
تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون )  
ويقول بعد ٦٢ آية ( قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر  
تدعونه تضربا وخفية : لئن أنجانا من هذه لنكونن من  
الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون )  
ويقول بعد ٧٠ آية ( قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا  
ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هداانا الله؟ كالذي استهوته

الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعوه الى الهدى؛  
انتنا. قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين)  
وما ذكر قصة ابراهيم مع أبيه آزر الا لان فيها أدلة على  
ابطال الشرك (واذ قال ابراهيم لا ييه آزر أتتخذ أصناما آلهة؟  
إني أراك وقومك في ضلال مبين \* وكذلك نري ابراهيم  
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين \* فلما جنَّ  
عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب  
الآفلين \* فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال  
لئن لم يهدني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين \* فلما رأى  
الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم  
اني بريء مما تشركون \* اني وجهت وجهي للذي فطر  
السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين \* وحاجه  
قومه قال اتحاجوني في الله وقد هذان ولا أخاف ما تشركون  
به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون؟ \*  
وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم  
ينزل به عليكم سلطانا؟ فأني القريةين أحق بالأمن ان كنتم

تعلمون؟ \* الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم  
الامن وهم مهتدون \* وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه  
نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم )

ويقول بعد ٩٣ آية ( ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم  
أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم  
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل  
عنكم ما كنتم تزعمون )

ويقول بعد ٩٩ آية ( وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم  
وخرقوله بنين وبنات بنير علم سبحانه وتعالى عما يصفون )  
وحرّم في هذه السورة ما لم يذكر اسم الله عليه لانه مما  
كان يذكر عليه اسماء آلهتهم فهو شرك ، وذكر من عاداتهم  
في الحرث والانعام أنهم كانوا يجعلون بعضها لآلهتهم وهو  
شرك فأبطالها ، واستدل على بطلانها ( وجعلوا لله مما ذرأ من  
الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركانا .  
فما كان لشركانهم فلا يصل الي الله ، وما كان لله فهو يصل الي

شركائهم ساء ما يحكون\* وكذلك زين لكثير من المشركين  
قتل اولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء  
الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون )

ويقول بعد ١٤٧ ( سيقول الذين أشركوا لو شاء الله

ما أشركنا ولا آباؤنا . ) (١)

(١) بين في هذه الآية بطلان احتجاجهم على شركهم وتحريم  
ما حرموا من الحرث والانعام بمشئته الله تعالى كما يحتاج الى الآن  
بعض المبتدعة والمتصوفة . قالوا : لو شاء الله ألا نشرك لما أشركنا  
نحن ولا آباؤنا ولو شاء ألا نحرم ما ذكر لما حرمنا . فنحن انما أشركنا  
وحرمنا بمشيئته . ومشيئته تستلزم رضاه . أو أنه هو الشارع لذلك .  
وقد رد الله تعالى عليهم جهلهم هذا بحجة تاريخية وحجة عقلية : أما  
الاولى فقولها ( كذلك كذب الذين من قبلهم ) من أقوام الانبياء  
رسلم فيها بلغوهم عن الله تعالى من توحيد الالهية وهو أن يعبدوا  
الله ولا يشركوا به شيئاً ، وتوحيد الربوبية وهو أن الشارع للدين  
هو رب العالمين فلا يحرم عليهم إلا ربهم ، فليس لاحد أن يقول عليه  
أنه حرم شيئاً بغير علم من وحيه كما قال في أصول المحرمات من سورة  
الاعراف المكية ( وان تشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً وأن  
تقولوا على الله ما لا تعلمون ) أي كذب الذين من قبلهم رسلمهم =

ويقول بعد ١٥٠ آية ( قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم

= كما يكذبك هؤلاء يا محمد ( حتى ذاقوا بأسنا ) أي عذابنا ، فلو  
كان راضيا عن عملهم لما عذبهم

وأما الحجة العقلية فقوله لرسوله ( قل هل عندكم من علم فيتخرجوه  
لنا ) إثباتا لزعمكم هذا فان القول في صفات الله وأفعاله وأصول دينه  
وتشريعه لا يصح إلا بعلم يقيني يثبتته وما عندكم شيء من علم بهذا  
( إن تتبعون إلا الظن ) أي ما تتبعون فيه إلا الظن في فهم المشيئة  
واستلزامها للرضا وأمر التشريع . وقد حكى عنهم ذلك في سورة  
الاعراف بقوله ( واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا  
بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون )  
ثم أسقطهم من مرتبة الظن إلى مادونها فقال ( وإن أتمم إلا تخرصون )  
التخرص الحزر والتخمين كتقدير الثمر في شجره وما يبلغه بعد الجفاف  
فهو لا يستند إلى دليل وأطلق على الكذب لأنه لا يكاد يكون مطابقا  
للواقع . ثم قال لرسوله فلقنا له حجته البالغة بعد ابطال حجتهم  
الداخضة ( قل فله الحجة البالغة فلو شاء هدامم أجمعين ) أي لو شاء  
أن يهديكم كلمكم ببعض قدرته من غير أن يكون لكم ارادة ولا كسب  
ولا اختيار في ايمان ولا عمل هدامم بخلقه اياكم مهتدين بالفطرة  
ويراجع تحقيق هذه المسألة في الجزء الثامن من تفسير المنار

ألا تشركوأ به شيئاً) وبذكر في مختتم السورة (قل اني  
هداني ربي الى صراط مستقيم \* دينا قياما ابراهيم حنيفا  
وما كان من المشركين \* قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي  
لله رب العالمين \* لا شريك له وبذلك أمرت \* وانا اول المسلمين \*  
قل اغير الله ابني ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس  
الا عليها ولا تزر وازر وزر أخرى، ثم الى ربكم مرجعكم  
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)

فأين تقطع الفكرة واقتضاب المعاني؟ أليست متسلسلة  
منتظمة آخذاً بعضها ببعض تلتظما وحدة الغرض،  
واتحاد الموضوع؟ ولكن ذلك يدق الاعلى ذي الفهم والحجى  
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم  
لو أن أصحابنا هؤلاء يسألوننا ما خفي عليهم من علم، له  
بخنا عليهم به، ولبذلنا لهم من فضل الله علينا، ولحينا هم من أن  
يكونوا ضحكة الضاحكين، وسخرية الساخرين

﴿ الحكمة في خلو القسم المكي من التشريعات الجزئية

وعنايته باثبات العقائد الاصلية . والتشريعات الكلية ﴾

وأما خلو القسم المكي من التشريع التفصيلي ووجوده

في المدني فهذا أمر طبيعي ، لان الاسلام لم يكن قد تقرر في

مكة ، وكان المشركون ينازعون في أصله ، وهو التوحيد والنبوة

والمعاد الخ فحق أن يكون الحجاج في ذلك ، وكذلك كان .

ولما كان بالمدينة وآمن به المدنيون ، وصاروا جماعة يقدرون

أن يقيموا أحكامهم كأمة منظمة ، أتى بالقوانين والشرائع

وهل كان يريد الناقد أن يفرض على كفار مكة أحكام

الموارث ( ١ ) والزواج ، والطلاق وهم ينازعون في أصل

العقيدة وفي انه رسول ، ولا يدينون له ؟

---

( ١ ) ( ان قيل ) اننا نوافقكم على ان الكفار لا يخاطبون بفروع

الشريعة وانما نقول لماذا لم تشرع هذه الاحكام للمؤمنين انفسهم

( قلنا ) ان بعضها لم يكن موافقا لمصلحة المؤمنين كالموارث لان

اكثر اقاربهم كانوا مشركين واما الاصل العام فيها كلها فهو ان فائدة

التشريع رهينة بالقدرة على التنفيذ وانما يكونان بالسلطان والدولة

أفليس الواجب يقضي أن يثبت أصل الايمان أولا ثم  
يثبت بعد ذلك فروعه وعبارة الناقد تفيد ان القسم المكي  
خلا خلاوا تماما من التشريع - وليس كذلك ، بل هو فيه  
تشريع ولكنه اجمالى ولم تخل الا من التشريع التفصيلي  
( اثبات القصص والتاريخ في القسم المكي )

وأما القصص والتاريخ فليسا خاصين بالقسم المدني كما  
يرى الناقد، بل هما يوجدان كثيرا جدا في القسم المكي. هذه  
سورة الاعراف، ويونس، وهود، والكهف، ومريم، وطه،  
ويوسف، والشعراء، مكية، وهي مفعمة بالقصص والتاريخ،  
بل اني لازعم أن ما يوجد من ذلك في المكي أكثر منه في  
المدني وهنا ينبغي أن أنبه القارئ ان الله ذكر ذلك للمظة  
والاعتبار

## أقسام القرآن

وقد عاب الناقد القسم المكي بأنه يقسم بالشمس ، والقمر ،  
والنجوم ، والفجر ، والضحى ، والعصر ، والليل ، والنهار ،  
والتين ، والزيتون ، وزعم ان هذا جدير بالبيئات الجاهلة  
الساذجة التي تشبه بيئة مكة تأخرا وانحطاطا (١)

وليس الامر كما زعم فان الله أقسم بهذه الاشياء ليعين  
لهم مكانتها وعظم نفعها ، ونعمة الله عليهم فيها ، فهي جليلة النفع  
عظيمة الخطر ، حتى استحققت أن يقسم الله بها ، ولعل الناقد  
قد توهم ذلك من القسم بالتين والزيتون ، فالتبس الامر عليه

---

(١) القسم ضرب من ضروب التأكيد في الكلام ، وللتأكيد في  
الكلام صيغ وعبارات ودرجات هي من أدق أساليب البلاغة. وقد  
كانت بيئة مكة أرقى في البلاغة والفهم من بيئة المدينة وغيرها .  
وأقسام القرآن مما امتاز به على سائر الكلام العربي بما فيها من التناسب  
والملاءمة للمقسم عليه المقصود بالتأكيد سواء كان يقدر فيها ، يضاف  
محذوف هو لفظ (رب) كما يقول بعض المفسرين ام لا . حتى انها  
افردت بالتأليف

وليس على الناس، وأوهمهم ان هذا قسم بالمطعم والمأكول  
وذلك شأن البيئات الجاهلة الساذجة

ونحن نرى ان هذا قسم بمنابت التين والزيتون وهي  
بعض بقاع الشام ، فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ،  
ومولد عيسى ومنشؤه ، فالكلام على حذف مضاف ، أي ومنبت  
التين والزيتون ، وانما قلنا ذلك ليتناسب مع ما بعده وهو  
طور سينين ، وهذا البلد الامين ، لان المراد بهما أيضا بقاع ،  
فالطور هو المكان الذي ثودي منه موسى ، والبلد الامين  
مكة وهي مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ، ومولد  
قينا ومبعثه .

وانما أقسم الله بهذه الاشياء ليبين من شرف هذه البقاع  
المباركة ، التي انبثق منها نور النبوة والهدى على العالمين . وان  
لهذه الاماكن في نفوس المؤمنين والمتدينين من يهود ونصارى  
منزلة لا تشابهها منزلة ، وان ذكرها ليفعل في نفوسهم ما  
يفعله ذكر الاوطان ، وملاعب الصبا ، ومعاهد الطفولة

## تفسير الطاهر الرابع

﴿ هل تعلم القرآن من اليهود ؟ ﴾

ان الذي دعا الناقد إلى هذا التورط والاسفاف حبه  
لأبواب النتيجة الآتية : ( ان محمدا تعلم من اليهود بالمدينة  
الحجة والمناقشة ، وان القرآن من وضع محمد ) وكيف يثبت  
له ذلك اذا كان القرآن منطقيا بمكة كما هو بالمدينة ، واذا كان  
مقيا للبرهان على الخصوم في البلدين ، واذا كان أمره في  
الادب ، والعلم ، والانسجام ، والقصد الى غايات سامية ،  
وشريفة ، سواء بمكة وبالمدينة ، فسلك تلك الطريق العوجاء  
الملتوية ، وزعم ان القرآن بمكة كان يهرب من المناقشة ، وكان  
خاليا من المنطق الخ ماقال . أما بالمدينة فقد كان على الضد من  
ذلك . وهذا من أثر تثقيف اليهود الذي تفقوا به المهاجرين أي  
ومنهم محمد ، ولكنه لن يصل الى ذلك ما دامت يدنا تحمل  
القلم ، وما دام في الناس عقول ،

لقد بنى الدكتور هذه النتيجة على تلك المقدمات التي حاول  
فيها اثبات أن القرآن قسمان قسم منه ضعيف وهو المكِّي، وقسم  
منه قوي وهو المدني، وأن ذلك لا بد من تأثير البيئة اليهودية  
الراقية فيه، وقد أفسدنا هذه المقدمات، وأثبتنا أن القرآن  
في القسم المكِّي منه قوي قوته في المدني، وأنه يصدر في كل  
ما يصدر عن علم واسع، وقدرة عظيمة، وهو في أوله وآخره  
سواء سموا وعظمة وارتقاء، لم يكن يوماً ضعيفاً ولا خالياً من  
المنطق، ولا هارباً من حجة، ولا فاراً من مناقشة، وقد  
كان هذا كافياً في فرضنا لأنه هدم للأساس فيهدم ما شيده عليه  
ولكننا أردنا أن نأتي بدراسة موجزة للقرآن مع اليهود  
لنعلم أكان القرآن يحترمهم؟ ويراهم مثلاً أعلوا في العلم والمنطق  
والدين والأخلاق حتى يقتبس منهم ويقلدهم ويعجب بشقاقتهم؟  
أم هو يراهم « وخاصة اليهود الذين كانوا يجاورونه » مثلاً  
أدنى، من أسوأ الأمثال في العلم والأخلاق والدين، وينظر إليهم  
كما ينظر المعلم إلى تلاميذه، الذين هم بحاجة إلى أن يتشققوا منه؟

إننا ان درسنا القرآن وجدناه ينظر اليهم النظرة الثانية، فليس يعجبه منهم خلق ، ولا علم ، ولا دين ،

﴿ عيب القرآن اليهود بتحر يف شر يعتمهم وكتمان العلم ﴾

كان يرى أنهم انعمسوا في حماة المادية، وتمردوا على الروحية السامية ، وفقد الحق سلطانه على نفوسهم فبدلوه ، ولم تكن وجهتهم الخير والاصلاح، وانما كانت وجهتهم متاع الحياة الدنيا وزينتها، فباعوا في سبيل ذلك دينهم ، والحق الذي معهم ( ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أو ائتك لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله ، ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكهم ، ولهم عذاب أليم )

( أفقتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عتلوه وهم يعلمون )

( يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواهمهم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون

الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتهم هذا نخذوه وان لم  
تؤتوه فاحذروا، ومن يرد الله فتنته فان تملك له من الله شيئاً،  
أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، لهم في الدنيا خزي  
ولهم في الآخرة عذاب عظيم \* سماعون للكذب ، أكالون  
للسحت ، فان جاءوك فاحكمم بينهم، أو أعرض عنهم ، وان  
تعرض عنهم ان يضروك شيئاً ، وان حكمت فاحكم بينهم  
بالمسط ، ان الله يحب المقسطين )

(عيب القرآن اليهود . بفقد الامانة . واستحلال الخيانة والكذب على الله )  
كان يعيبهم انهم فقدوا الامانة ، وزعموا ان الله أحل  
لهم خيانة الاميين — كذبوا فليس الله يحل الفحشاء والمنكر ،  
(ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم  
من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائماً ذلك  
بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ، ويقولون على الله  
الكذب وهم يعلمون \* بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله  
يحب المتقين )

﴿ عيبه اياهم برذيلة الحسد ﴾

كان يعيبهم بخلق الحسد الذي هو أس الرذائل، وجماع  
القبائح، والذي حملهم على أن يقولوا لعابدي الوثن أنتم  
أهدى من الذين آمنوا سبيلا، والتوحيد دينهم (أم يحسدون  
الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل ابراهيم  
الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) ( ألم تر الى الذين أتوا  
نصييا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون  
للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا \* أولئك  
الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا )

﴿ عيبه اياهم بالاشراك ﴾

عابهم أنهم غيروا دينهم فبعد أن كان دين توحيداً شركوا  
معه بمض المحدثات (وقالت اليهود عزير ابن الله) وبعد أن  
كان ديننا يحث على الفضيلة، وينفر من الرذيلة، ويملم أنه  
لن تنفع الاحساب والانساب، وانما تنفع الاعمال، وانه من  
أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه استحال في أيديهم ديننا يفري

بالاتكال على الانساب والاحساب ، واذا وصل الدين الى  
هذه المنزلة فسد ، ولم يؤد مهمته السامية من الحض على  
الفضائل ، والتخويف من الرذائل ، بل ربما شجع على الرذيلة  
اتكالا على الحسب والنسب

( وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ، قل اتخذتم عند  
الله عهدا فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله مالا  
تعلمون \* بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك  
أصحاب النار هم فيها خالدون )

﴿ عيبه ايام بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾  
(وخلال أخرى سيئة)

وعابهم بأنهم تركوا التناهي عن المنكر ، والتأمر بالمعروف  
وعابهم بأنهم كانوا يأكلون السحت ، ويقولون الاتم  
وعابهم بأنهم لم يعرفوا جلال الله وكلامه ، ولم ينزهوه  
عن النقص والعيوب ( وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت  
أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء )

﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود  
وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون \* كانوا الا  
يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ﴾  
( وتري كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم  
السحت لبئس ما كانوا يعملون \* ولا ينههم الربانيون والاحبار  
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون )  
وعابهم بانهم قد اوتوا علما لم يعملوه ولم ينتفعوا به (مثل  
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ، بئس  
مثل القوم الذين كذبوا بايات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين)

---

## موقف القرآنة من البرهوت

﴿موقف المعلم لا المتعلم﴾

وهذا كله موقف من جاء ليعلم لا ليتعلم ، ومن جاء  
يشقف لا ليتقف ، ولذلك كان يرى أنه حاكم ومهيمن على  
الكتب السالفة ( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين  
يديه من الكتاب ومهيمناعليه ) فليس القرآن من عمل محمد ،  
وليس لليهود فيه نصيب وإنما هو من المشكاة التي جاءت منها  
التوراة والإنجيل ، فلما طال عاينها الأمد ، ونسيت تعاليمها  
واستجالت الى غير ما كانت عليه ، جاء بالقرآن ليردهم الى  
الفهم الاول ، ويجدد لهم ما كان قد درس من تعاليم صحيح ،  
ويصل بهم الى الغاية التي هي كمال النوع الانساني .

---

## تفنيد الطعن الخامس

الحروف غير المفهومة المفتوح بها بعض السور من القرآن والحكمة فيها ادعى الناقد أخيراً ان الحروف المفتوح بها بعض السور ربما قصد بها التعمية أو التهويل . أو اظهار القرآن في مظهر عميق مخيف ، أو هي رموز وضعت لتمييز بين المصاحف المختلفة . ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا ، وهي دعوى قد كما ناهو إبطالها ، لأنه يشك فيها ويردد بين أمرين متناقضين ثبوت أحدهما ينفي الآخر . فكونها قصد بها التهويل واظهار القرآن في مظهر عميق مخيف يقتضي انه نطق بها الرسول . وأنها كانت في عهده ، وكونها رموزا وضعت لتمييز بين المصاحف المختلفة ، ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن يقتضي بانهم ينطق بها الرسول ولا كانت في زمنه ، ونقض القرآن لا يكون بهذا الشك والاضطراب والترديد بين أمور متناقضة . ولو علم الناقد ان الصحابة والتابعين كانوا يتشددون في تجريد المصحف

من كل ما ليس قرآنا حتى إنهم امتنعوا من العجم والشكل  
وكتابة أسماء السور لاستحيا من أن يقول مثل هذا القول (١)

(١) الصواب انه علم ولم يستح ، ومن يستحي ؟ وهل يتكلم في  
مثل هذا المشكل من غير أن تراجع بعض التفاسير ؟ كلا انه قد  
اتبع في هذا بعض المستشرقين كعادته ، لانهم أرقى في نظره المظلم من  
علماء المسلمين ، بل ممن هو اعظم من الجميع . ولكنه كان سيء  
الاتباع ، فان جرجيس سايل المستشرق الانكليزي عرض لهذه المسألة  
في مقاله عن الاسلام وذكّر بعض أقوال المفسرين فيها ثم قال :  
وعندي ان لما فسرهما به احد علماء النصارى وجها لعله أدنى الى  
الاصابة من تفسيرهم فقد حدس أنها أحرف وضعها كتاب محمد  
رأس السورة اختصارا من قولهم أوعز الي محمد . وذلك على حد  
ما وضعه بعض كتابه من اليهود « كهيعص » برأس سورة مريم

اختصاراً من قوله بالعبرانية « به يعص » أي هكذا أمره  
وقد وضع مترجم الكتاب بالعربية حاشية لهذه القرية المخروصة  
خلاصتها أن هؤلاء الكتاب للقرآن من غير المسلمين وضعوا هذه  
الأحرف لتبرئة أنفسهم من الايمان بما كتبوه بأمر مستأجرهم للكتابة  
وأما طه حسين فقد قبحها بما ظن أن تكون مستساغة عند  
تلاميذه وأمثالهم الذين لا يصدقون أن كتاب الوحي عند النبي (ص)  
كانوا من اليهود حتى في مكة فجعلها لكتاب المصاحف من الصحابة  
(رض) جاهلا أن هذه الأحرف كانت مقروءة ومحفوظة ومكتوبة  
في سورها قبل كتابة المصاحف المتعددة في خلافة عثمان ، وأن السور  
المكية منها كسورتي الروم ومريم نزلت في أوائل البعثة قبل أن  
يكون في الصحابة ابن عباس وابن عمر

ولعمري « انا كان شاكا ومضطربا ». فلم لا يأتي الا  
بما هو طعن في القرآن؟ ولِمَ لَمْ يذكر ولو على سبيل الشك  
والترديد، ما قاله المفسرون من أنها أسماء للسورة، أوجيء بها  
هكذا مسرودة ليعلمهم أن القرآن منظوم من هذه الحروف  
التي ينظمون منها كلامهم، فهو اذا من جنس ما ينطقون،  
فلا يتوا بمثله ان كانوا صادقين. ذلك لان مواده ليست أعجمية،  
بل هي من المواد التي ينظمون منها كلامهم، وليست غريبة  
عنهم، فاذا عجزوا بعد فليعلموا انه ليس من كلام البشر، بل  
هو من عند خالق القوى والقدر

وأني لهذا الناقد أن يقول خيرا في الكتاب الكريم ولو  
على سبيل الشك وهو يريد نقضه وإبطاله؟

مثل الناقد وما يحاول من نقض القرآن كمثل فرعون  
اذ قال ( فأوقد لي ياها مان على الطين، فاجعل لي صرحا لعلي  
أطلع الى آله موسى، واني لاظنه من الكاذبين ) ولم يدر أن

دون ذلك بعدما بين الفناء والبقاء ، والمحدود وغير المحدود ،  
وآلك الهوة السحيفة ، التي فصلت بين ضعف الانسانية وجبروت  
الربوبية ، وأخيرا دون ذلك سر الألوهية ، وعمق الابدية  
لست أحمل من الموجدة لرجال التبشير ما أحمله لهذا  
الناقد ، لانهم يبدون ( كما هم ) باباسهم الكهنوتي ، ويظهرون  
آراءهم على انها آراء تبشيرية . أما هو فيعزفي الاحاد ويظهر  
باباس العالم ، ويعرض أفكاره الاحادية في ثوب العلم ويظهرها  
كأنها آراء أنضجها البحث والتفكير ، وهي ليست من العلم في  
قليل ولا كثير ، وانما هي آراء تبشيرية لا أقل ولا أكثر ،  
وإذ انهم لا يجرءون على دخول مدارس الدولة ، ولا الجامعة  
المصرية ، وهو يتربع على كرسي المعلم في الجامعة ، فلا يقدر  
على بث سمومهم وهو يقدر على بث سمومه ، وهم يخدمون  
دينهم بمهنتهم التبشيرية ، أما هو فيضر دينه ، وهم يخدمون  
أمتهم بعلمهم ، وهو يضر أمته بتمزيق رابطتها الدينية ، وهي

الرابطة التي كونتهم أمة وجعلتهم يتوادون ، ويتحابون ،  
ويرمون عن قوس واحدة ، وهم يخذون أوطانهم ، وهو يضر  
وطنه بتفكيك روابطه ، وتمزيق وحدته ، فهو يخادع وهم  
لا يخادعون ، وهو يخون أمته وهم لا مهمم لا يخونون ، وهم  
أوفياء لدينهم وهو عاق لدينه أثيم

لست أخجل من شيء خجني من الاقطار العربية ومن  
الاجيال المقبلة إذ يقولون كيف يدرس هذا الهذر ، وهذا  
الهذيان في مصر ، في الجامعة المصرية في القرن العشرين ؟ أكانت  
بهذه المنزلة من الجهل ؟ أكانت بهذه الحال من الانحطاط  
والغباء ؟ أفلم يكن فيها علماء يدينون لأمتهم ما في هذا من جهل ؟  
أفلم يكن فيهم من يتفنون الناس على بعد ما بين هذا والمنطق ؟  
أفلم يكن فيهم قادة ومرشدون يحمون الأمة من هذه الغواية ،  
وهذا الحق ، وهذا القموق ؟

الآن شهدي أيتها الاقطار العربية ، شهدي أيتها  
الاجيال المقبلة ، شهدي أيتها الارض ، شهدي أيتها السماء  
أن مصر لم تؤمن بهذه الشعوذة قط ، وانها لم تجز عليها هذه  
الجماقات ، وانها أعقل من أن تخدع ، وأعلم من أن تدخل عليها  
هذه الشعوذة وتلك الاغاليط ، وأنها دفعت في صدور هذه  
الشبه ، وبينت للناس بطلانها وما فيها من ضلال مبين

---

## علاوة

### ضراوة النافر بالطعم في القرآن

ليست هذه أول مرة يطعن فيها هذا الناقد في القرآن الكريم ، فقد طعن فيه من قبل في كتاب أسماه ( في الشعر الجاهلي ) كذب فيه القرآن في قصة إبراهيم وإسماعيل ، وزعم أنها خرافة اخترعها اليهود لغرض سياسي ، واستفلم القرآن لغرض سياسي ، وزعم أن الدليل هو الذي اضطره إلى هذا . وقد كنا كتبنا كلمة بينا فيها خطأه في نظره وفي استنتاجه ، وكتبنا كلمة أخرى بينا فيها أن هذا الناقد قد سرق طعمه في القرآن من كتاب ( ذيل مقالة في الاسلام ) لأحد المبشرين (١) ونحن نثبتها هنا لئلا يناسن القرن برىء مما يقوله المبشرون وهذا المشايخ لهم

(١) بل أخذ من الاصل وهو للمستشرق الانكازى ( سايل ) مترجم القرآن ومن ذيله لكاتب شرقي مستأجر

﴿ منهج الدكتور طه حسين العلمي في البحث ﴾ (١)

أظن أن الصحف لا تأبى علي نشر هذا النقد للشعر  
الجاهلي للدكتور طه حسين، وأن ليس لأحد سبيل عليها إذا  
نشرته، لأنه لا يتعاق بدينه، ولا بإثبات كفره بما كتبه في الشعر  
الجاهلي، ولا بإثبات أنه طعن في الدين الإسلامي الذي تقام  
شعائره في مصر فيكون مستحقاً للعقوبة المنصوص عليها في  
القانون المصري، وإنما هو مناقشة هادئة علمية محضة في المنهج  
الذي اصطنعه الدكتور في البحث في الشعر الجاهلي، يتبين منها  
أهذا المنهج الذي سلكه في البحث علمي منطقي يرضى عنه  
العلم أم هو منهج خاطيء لا يحترمه العلم ويحتقره المنطق  
ويرى أنه من المغالطات؟؟

إننا سنحاول ذلك، وستكون النتيجة كما سيراهم القاريء  
أن منهج الدكتور في البحث من ضلالات العقول ومغالطات

---

(١) نشرت في الجزء العاشر من المجلد السابع والعشرين من  
مجلة المنار سنة ١٩٢٧م ١٣٤٥

الوهم، وأنه ليس يسلك هذا المنهج إلا الذين لم يمارسوا صناعة  
المنطق، ولم يعمقوا على صناعة البرهان، وكانوا سطحيين في  
بحوثهم لم يتعمقوا إلى الغور، ولم يبعدوا المرمى، وغرضنا  
من ذلك أمور ثلاثة

(أولها) أن تسقط دعوى الدكتور طه حسين بأن  
مأساكه في البحث منهج علمي حديث وأنه بذلك يحشر  
نفسه في زمرة العلماء حشراً في عداد المخترعين والمبتكرين  
والمستكشفين، وليس يعلم إلا الله ما ينال هؤلاء العلماء من  
الاذى في مضاجعهم بانتساب الدكتور إليهم وحشره نفسه  
قسراً في زمرةهم

(ثانيها) أن أحمي شباب مصر من عدوى ذلك المنهج،  
ومن أن يتأثروا الدكتور في طرائقه الفكرية، فان مستوى  
البحث في مصر لما ينضج بعد، وذيوع أمثال طرائق الدكتور  
عما يكون ضغماً على إباله

(ثالثها) أن يعلم الذين يدينون بالاسلام في مصر أن

دينهم لم يصادمه علم ولا عقل كما يدعي الدكتور ويفتري،  
وحاشا الاسلام أن يصادمه علم أو عقل وأنه إذا كان ثم ما يصادمه  
فليس العلم والعقل، وإنما هو الجهل المخزي، والباطل الشائن،  
والعقل الفج الذي لم يستكمل بعد شرائط الانتاج !!!  
سيسوء ذلك الدكتور طه حسين ولا يرضيه، ولكنني لست  
أتوخي رضاه ولا أحرص من مسأته، وإنما أتوخي رضی الحق  
وأجنب مساءة الصواب، فأما من عداها فلا علي أن يكونوا  
غاضبين، وليس يدخل في غرضي أن يقتنع الدكتور طه حسين  
فانه ليس ممن يرجي منهم اقتناع، فانه ليس طالب حق، وإنما هو  
طالب رواج، وليس ممن يعينهم الصواب، وإنما ممن يعينهم  
الرجح، فهو كالتاجر همه أن تروج بضاعته لا أن تنقد فيعلم  
جيدها من رديتها، وكما أن التاجر إذا بصرتة عيب بضاعته  
ناكره وجاحدك، كذلك الدكتور إذا ألمسته عيب ما يقول  
بيده جحد واستكبر، لان ذلك يتف دون رواجه وربحه -  
وإياها يريد

ان الذي أفسد على الدكتور أمره اعتقاده أن أمته أمية ،  
فهو يلقى اليها مباحثه على عواهنها لا يعنى بتحصيها ونقي  
الزائف عنها ، عالما بأنه ليس عندها من ملكة النقد ما يبين  
عيبه ويظهر شينه ، وقد مد له في هذا الاعتقاد أنه يرى المعجبين  
برأيه والمقرضين لعلمه معها كان فيه من الباطل وانحطاً  
ألا فليعلم الدكتور بعد أنه ليس ينشر بحوثه في أمة وحشية  
متبذية كقبائل الزنوج ، وإنما هو ينشرها في أمة متحضرة  
متمدنية ضربت في العلم بسهم وأخذت منه حظاً ، وأن بني  
قومه فيهم من ينقدون الآراء ، ويعلمون حقها من باطلها ، ويعلمون  
المغالطات معها بولغ في تزيينها ، وأنهم لم تستعص عليهم نحل  
الفلاسفة ومعتقداتهم في الآلهيات والاخلاق والسياسة  
والاجتماع فنقدوها ، وعلموا زائفها من خالصها ، فكيف  
تستعصي عليهم آراء سطحية تتعاق بتاريخ أو شعر ؟ وانهم ان  
كانوا قليلا ففي استطاعة هؤلاء القليل أن يبينوا لجمهرة الامة  
عثرات الرأي وكبوات الافهام

جاء شقيق عارضاً رعه إن بني عمك فيهم رماح

نفي الدكتور طه حسين في الفصل الذي عنوانه (الشعر

الجاهلي واللغة) وجود إبراهيم وإسماعيل، وبناءهما الكعبة،

وهجرتهما إلى مكة، وتعلم إسماعيل العربية من العرب العاربة

الذين هم من قحطان، وإن كان قد ورد ذكرهما في التوراة

والقرآن، نفي ذلك الدكتور، وليس له اختيار في هذا النفي لأنه

مضطر أمام الدليل القطعي، والدليل الذي اضطره إلى ذلك

هو أنه قد ثبت أن لغة قحطان أي لغة جنوب جزيرة العرب

تخالف اللغة العربية التي يتكلم بها أهل الحجاز، فنسبتها إلى اللغة

العربية كالنسبة بين اللغة العربية وبين أي لغة سامية، فإذا

كانت هذه القصة صحيحة وكان إسماعيل وبنوه قد تعلموا

العربية من القحطانية، فكيف بعد ما بين اللغة العربية العدنانية

واللغة القحطانية ??

نحن إذن بين أمرين، إما أن نقبل هذه القصة ونرفض

ذلك الدليل القطعي أو العكس، ولا مندوحة تجوز رفض

الدليل القطعي ، فلا بد من رفض هذه القصة وإنكارها  
والإذعان للدليل القطعي : نكرها بجملة فلم يوجد إبراهيم  
واسماعيل فضلا عن بنائهما الكعبة ، وهجرتهما الى مكة ، وتعلم  
اسماعيل العربية من القحطانية ، نحن مضطرون الى ذلك وأن  
حدثنا القرآن والتوراة عنهما ، فان ورود هذين الاسمين فيها  
لا يكفي لوجودهما التاريخي .

هذا دليل الدكتور ، وسنبداً في مناقشته قبل الدخول  
في تفصيلات المناقشة ، نذكر مقدمة ينبغي أن تعلم : وهي أن  
القرآن لم يعرض لحديث تعلم اسماعيل العربية من قحطان ،  
وانما الذي عرض له وجودها وهجرتها وبنائهما الكعبة ،  
وانما الذي عرض لتعلم اسماعيل العربية من القحطانية هم  
مؤرخو اللغة . وبعد فسنسلم الدكتور جدلا كل مقاله من  
البعدين القحطانية والعدنانية بعداً يجعلها لغتين مستقلتين ،  
ومن أنه لو تعلم اسماعيل من القحطانية لكانت اللغتان متفقتين  
أو متقاربتين

ولكننا نقول له إن دليلك لا ينفي إلا إن إسماعيل  
تعلم اللغة العربية من القحطانيين، فاما وجودهما، وهجرتهم إلى  
مكة، وبنائهما الكعبة، وهى الأمور التى عرض لها القرآن  
فلا ينفيها ولا يتعرض لها، فهاتفق مع دليلك أن يكون إبراهيم  
وإسماعيل قد وجدا وهاجرا إلى مكة، وبنيا الكعبة، وتعلم  
إسماعيل وأبناءه العربية من غير القحطانيين من العرب الذين  
خالقهم الله يتكلمون العربية الحجازية التى بقيت إلى مجيء  
الاسلام، فالدليل القطعي لا ينفي الا شيئا واحدا وهو تعلم  
إسماعيل وبنيه العربية من القحطانية فمن الواجب أن يقتصر  
به على ذلك، ولا يمدى إلى القصة جميعها فينفيها اذ لا منافاة بينه  
وبين بقيتها، ومثل الدكتور في ذلك مثل من يسمع مؤرخين  
أحدهما يقول ان اللورد كيتشنر كان عميد الدولة البريطانية  
في مصر والآخر يقول انه كان عميدها في مصر سنة ١٩٢٠  
فيقول: ان التاريخ يفيد أن اللورد كيتشنر غرق زمن الحرب  
العظمى التى انتهت قبل هذا التاريخ فما قاله المؤرخان كذب

ولم يكن اللورد كيتشنر عميداً لأنكثرا في مصر وقتاً ما،  
كذب المؤرخين، وكذب القصة جميعها، ولو اتبع المنطق لنفي  
كونه عميداً في زمن سنة ١٩٢٠، ولم يعد انتهى الى كونه عميداً،  
ولم يكذب المؤرخ الأول، اذ لم يتعرض لتعيين الزمن .  
وكذلك الامر عندنا : الدليل ينفي مقاله المؤرخون من أن  
إسماعيل تعلم العربية من القحطانية، فينفي به الدكتور القصة  
حتى ما ذكره القرآن من وجودها وهجرتها وبنائهما الكعبة  
حما لم ينقه الدليل ولم يتعرض له، ويكذب القرآن فيما قاله  
وهو لم يعرض لما نقاه الدليل وإنما عرض لغيره .

فيادكتور دليلك أقصر من دعواك : أنت تدعي نفي  
وجود إبراهيم وإسماعيل، وهجرتهما الى مكة، وبنائهما الكعبة،  
وتعلم اسماعيل العربية من القحطانية، ودليلك انها ينفي  
الأخير وهو تعلم اسماعيل العربية من القحطانية، فاماماعدا  
ذلك فلا، ويسمي علماء المناظرة ذلك بمنع التقريب، والتقريب  
سوق الدليل على وجه يستلزم المطالب، ويقولون في مثل

ذلك: أن التقريب غير مسلم، أي أنك سقت الدليل على وجه لا يستلزم المطلوب، فمثلك مثل من ادعى أن هذا الشبح إنسان، ويستدل على هذه الدعوى بأنه متحرك بالارادة، وكل متحرك بالارادة حيوان. نعم الدليل مسلم ولكنه لا يستلزم المطلوب وهو أنه إنسان

فالمنطق يأمرنا إذا نفى الدليل شيئاً أن نقصره على ذلك الشيء، ولا نعديه إلى ما عداه، وقد رأيت في مثال اللورد كتشنر كيف نخطيء إذا مدينا النفي إلى غير ما قام عليه الدليل - ولو أردنا أن نصوغ دليلك في قالب منطقي لكان هكذا: لو كانت الحجازية أصلها القحطانية لما بعد ما بينهما هذا البعد، لكنها متباعدان، إذن فليست الحجازية أصلها القحطانية، هذه النتيجة فقط. وليكنك تزيد فيها ما يأتي: لم يوجد إبراهيم وإسماعيل ولم يبنيا الكعبة ولم يهاجرا إلى مكة. وهذا هوس ليس منطقاً، ويظهر أن الدكتور طه

علم أن دليله لا ينتج تكذيب القرآن فيما ذكره ، فلم يرتب  
التكذيب على الدليل ، ولم يقل ( واذن ) التي يستعملها دائماً في  
كلامه وقال : فواضح جداً لكمل من له إلمام بالبحث التاريخي  
عامة وبدرس الاساطير والاقاصيص خاصة أن هذه النظرية  
متكافئة مصطنعة في عصور متأخرة دعت إليها حاجة دينية ،  
أو اقتصادية ، أو سياسية . وهو بين شرين لا مفر منهما  
أما أن يكون اجترأ على تكذيب القرآن في وجود إبراهيم  
وإسماعيل بدون دليل ، وليس بيده الا قوله فواضح جداً .  
وحيث أن تكون دعوى لادليل عليها ، والدعاوي إن لم تقم  
عليها بينه لم يعباؤها ، وأما أن يكون قد كذب القرآن بذلك  
الدليل ، وقد علمنا أنه أقصر من دعواه ، ولا ينتج تكذيب  
القرآن

هذا وقد رأى القراء أننا لم نناقش الدكتور على قاعدة  
أن القرآن نص يقيني وهو حجة على كل ما خالفه ، وإنما  
ناقشناه على قاعدة أنه نص تاريخي كنص أي مؤرخ من

البشر تنزيلا منا، وبيننا له أن دعواه لم تتم، لأن الدليل العقلي الذي استعمله لا ينهض، فلم يلزمه بنصوص الدين لئلا يقال إن ذلك لا يلزمه إلا المتدين، وإنما ألزمناه بالأدلة العقلية المشتركة

للإنسانية كلها من تدين منهم ومن لم يتدين ولا يظن ظان أن أدلة الدكتور الحديثة تقف عندها الحد من العبث والبطلان، بل إن لها لونا آخر من ألوان العبث والبطلان وهو ما سنبينه.

يزعم الدكتور طه أن قصة إبراهيم وإسماعيل موضوعة وضعها اليهود لغرض وهو أنهم كانوا يريدون أن يثبتوا القرابة بينهم وبين العرب ليعيشوا معهم عيشة راضية، وقبلتها مكة لغرض سياسي وديني لأنهم كانوا يريدون أن يتصل نسبهم بأصل من تلك الأصول المأجدة، وقبلها الإسلام لغرض ديني وهو أنه يريد أن يثبت صلة بينه وبين اليهودية.

هكذا زعم الدكتور، وليس معه نص تاريخي يفيد ذلك، وليس بيده إلا أن ذلك يمكن أن يكون قد كان، وإذا تصور

على هذا الحال كان منسجما ، ونحن نقول له يادكتور ان التاريخ لا يثبت بمثل ذلك ، وليس كل ما يمكن أن يكون قد كان ، يجب أن يكون قد كان ، ولا يثبت الامر بأن هذه العلة يجوز أن تكون له . وإن مثلك في ذلك مثل مؤرخ يأتي بعد مائتي سنة يقول : يزعم المؤرخون أن أمريكا اشتركت مع فرنسا في حرب ألمانيا في الميدان الغربي ، وهذا باطل فأين أمريكا من فرنسا ؟ إن بينهما المحيط الاطلانطيقي على سمته . القصة مكذوبة وقد اخترعها بعض الامريكان ليقرب الشعبين الامريكي والفرنسي بعضهما من بعض ، ان هذه القصة تفيد أنهما حاربا معا جنبا لجنب عدواً مشتركاً فهي تدعو الى تآلف الشعبين فقد وضعت لذلك ، وان الذي يدعو الي أن توضع علوم الاوائل كلها موضع الشك ولا يثبت الا ما قام العلم على اثباته ، لا يسوغ له أن يطالب منا الاقتناع بمثل هذه الظنون والاهام ، وليس عنده من الحججة ، الا ان ذلك يمكن ان يكون

قد كان، فيجب أن يكون قد كان . اللهم الا اذا كان يدعو  
الى رفض تقليد الماضين الى تقليده هو ، وان قارئ كتابه  
يحتاجون الى مقدار عظيم من البلاهة والعمارة حتى يقتنعوا  
بأمثال تلك الحجج التي هي كما قال الاول

حجج تمافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور  
اذا أراد الدكتور أن يقنع الأمة بكتابه فعليه اولاً ان  
يبدأ بالناء تقولها، وعكس منطقها السليم، واحالة تلك العقول  
عن فطرتها حتى تكون على غرار عقله ، ثم يلقي اليها بعد  
أمثال تلك الأوهام، وحينئذ تقنع بها وتصدق ويتم له ما يريد  
ولكن : دون ذلك وينفق...

ألا لا يقوان الدكتور بعد اليوم : المنهج العلمي الحديث  
ولا البرهان العلمي، ولا يتمسحن بأعتاب العلماء، فقد أطلعنا  
القراء على قيمة نهجه العلمي الحديث ومنطقه الجديد ، فلهما  
أن ذلك ليس منطق العقلاء وانما هو منطق البله والاعمار  
والمعورين .

وبعد : فكتاب الشعر الجاهلي ان كان الفه مؤلفه كتاباً

في المغالطات ، وامثلة على القياس الذي لم يستكمل شروط  
الانتاج، والاضرب العقيمة والحجة الخداج، فهو كتاب جيد  
في بابه واف الغرض الذي قصد اليه، وان كان الله مؤلفه كتابا  
في تاريخ الشعر والادب فليس من ذلك في قليل ولا كثير  
ولو أن في بلدنا مجمعا عاميا منظما لحكمته بيني وبين  
الدكتور ، ولرضيت حكمه فيما رميت به دعاوي الدكتور من  
أنها دعاوي يقيم عليها أدلة أقصر منها تارة ، ويدعيها بدون  
برهان تارة ، ويثبت الشيء بأنه ممكن تارة اخرى ، وان كان  
من وراء ذلك التحكيم الخير العظيم ، فانه اذا حكم علي تواريث  
خجلا ، وأرحت الناس من سماع هذا النقد وأمثاله . واذا حكم  
علي الدكتور حمى شباب الامة من التورط في آرائه ، وحماها  
أيضا من عدوي ذلك المنهج الخاطيء في البحث - اما والبلد  
ليس فيها مثل هذا المجمع فأدعو المشتغلين بالمنطق ان يبدوا آراءهم  
فيما بيني وبين الدكتور من خلاف ، انهم ان فعلوا ذلك  
خدموا العلم والحقيقة ، ومن أولى من هؤلاء بخدمة العلم  
المظلوم والحقيقة المهبطة .

## طه حسين

﴿ يسرق طهونه في القرآن من كتب المبشرين ﴾

«اني أسفنت لنقل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب  
إلى وزارة المعارف لان هذا الاستاذ لا يستطيع فيما أعلم  
أن يعوض الآن على الأقل لا في الدروس التي يلقونها على  
الطلبة ولا في محاضراته العامة للجمهور، ولا من جهة هذه البيئة  
العلمية التي خلقها حوله وبت فيها روح البحث الادبي وهدى  
إلى طرائقه»

هذا ما يقوله أحمد بك لطفى السيد مدير الجامعة في  
استقالته . وهذا ما يقوله في حديثه مع مندوب الاهرام ،  
ويمثل هذا بلهج بعض الكتاب في هذه الايام ، ونحن نرى  
أن الادعاء بأن الدكتور لا يستطيع أن يعوض مبالغته في  
ثناء اعتماد الدكتور ومدير الجامعة أن يتقارضا  
وأما دعوى أنه خالق بيئة علمية، بت فيها روح البحث

الادبي، وهدى إلى طرائقه، فنحن لانستطيع أن نسلم بذلك،  
لأن الدكتور فاقد لروح البحث، ولا يدري ما طرائقه، وفاقد  
الشيء لا يبثه ويهدي إليه، ونجوز أن يوصف الدكتور بكل  
شيء، إلا البحث ومعرفة طرائقه، وهذه مسألة يخالفنا فيها  
مدير الجامعة وبعض الكتاب، ونريد أن نقيم الدليل عليها  
ونقتنع بها من يريد الاقتناع.

نريد أن نعرض عليهم نماذج من بحوث الدكتور ونبين  
لهم من أين أخذها؟ وهل فهم حين أخذها؟ أم أخذها مخطئا  
فوقع في التناقض وكان أبعد الناس عن طرائق البحث السديد؟  
أكبر كتاب اشتهر به الدكتور كتاب ( في الشعر  
الجاهلي ) وأشهر بحث فيه هو انكار وجود ابراهيم واسماعيل،  
وتكذيب القرآن والتوراة في دعوى وجودهما، وزعمه بأن  
قصة ابراهيم واسماعيل وأبوتهما للعرب أسطورة لفقهاء يهود  
جزيرة العرب لغرض سياسي، واستغابا القرآن لغرض ديني .  
بحث جاء به في كتابه، وانتحل له نفسه، أيدري الناس ممن أخذ

هذا البحث ؟ إنه أخذه من كتاب ( ذيل مقالة في الاسلام )  
الذي سمي نفسه بهاشم العربي ، وهذا الكتاب مطبوع قد طبع  
للمرة السادسة ، وهو من عمل بعض المبشرين الطاعنين في  
الاسلام ، ونحن نعلم أن القاريء لا يكفيه أن يقال إنه أخذه  
من كذا ، وانتحل من فلان . لذلك نريد أن ننقل له عبارة  
الاصلي ، ورقم الصفحة ، وننقل له عبارة الدكتور ، فيؤمن معنا  
بأنها مسروقة

يقول صاحب ذيل مقالة في الاسلام في صفحة ٣٥٢  
من كتاب مقالة في الاسلام المطبوع بمطبعة النيل المسيحية للمرة  
السادسة « و حقيقة الامر في قصة اسما عيل أنها سيدة لفقير اقدماء  
اليهود ، تزلفا اليهم وتذرعابهم إلى دفع الروم عن بيت المقدس ،  
أوالى تأسيس مملكة جديدة لهم في بلاد العرب ياجؤون اليها ،  
فقالوا لهم : نحن وأتم أخوة و ذرية أب واحد ، وهذا سنن  
مألوف لليهود فانهم متى رأوا المصلحة في التودد الى قوم قالوا  
لهم : أتم إخوتنا ، ونحن وأتم صنوان ، وقد حاولوا مرة

أن يخذعوا اليونان بهذه الحيلة ليعتصبوا لهم تخابوا، ثم استأنفوها مع العرب لما زحف عليهم تيطس بجيش الروم ليقمع عصيانهم فتذرعوا اليهم برحم القرابة وقالوا لهم : نحن وأنتم ذرية ابراهيم وعده الله ولن يخلف وعده ليقين من سلالتهم ملكا على الارض حتى الانقضاء ، وطعموا أن يجرؤهم بذلك الى قتال الروم فلم يظفروا بمرادهم ، ثم نكبوا فهاجر كثير منهم الى جزيرة العرب وتوطد فيها أمرهم كما ذكر المصنف ، ولم يألوا جهداً إذ ذاك الى ظهور الاسلام في اشراب العرب أن بينهم وبينهم قرابة من النسب حتى نجحت فيهم هذه الاكذوبة آخر الامر، لأنهم كانوا اجهل من أن يردوها، ولأن الوثنيين منهم لما رأوا اليهود والنصارى على ما بينهم من الاختلاف متفقين على تعظيم ابراهيم لم يشق عليهم أن يكونوا هم أيضاً فرعاً من هذا الاصل ، إذ كان سواء عليهم أن ينتموا الى هذا الاب القديم أو الى غيره ، أو لعالمهم كانوا قبل ذلك مجهولون اسمه بته ، فأقبلوا هم أيضاً يعظمونه ، وتناقلت ذريتهم

أمر هذا النسب بينهم وبين ابنه اسماعيل ، الذي قالت لهم  
اليهود إنه جدهم ، حتى رسخت هذه القصة في أذهانهم بما دي  
الزمان . فلما ظهر محمد رأى المصاححة في إقرارها فأقرها ، وقال  
للأرب إنه إنما يدعوهم إلى ملة جدهم هذا الذي يعظمونه من  
غير أن يعرفوه ، إلا أن قدماء مؤرخيهم لم يتنبهوا لما تبطنه  
هذه الدسيسة من الخداع اليهودي فصدقوها وأثبتوها في  
تواريخهم ، ثم تداولها الخلف عن السلف ، حتى صارت عندهم  
أخيراً من الحقائق التاريخية الراهنة التي لا يسمع أحداً إنكارها .  
وأنت قد رأيت مع ذلك أن للكلام في ردها مجالاً متسامحاً  
يبقى اليوم أحد من جهابذة العصر ومحققيه إلا ويجزم بأنها  
خرافة ، وبأن التصديق بها حماقة ، فإن أبي المسلمون بعدها إلا  
أن يكون نبيهم وأمتهم منتمين إلى ذلك المحتد الكريم فهم وما  
اختاروه لا أنفسهم »

فيتابعه صاحب كتاب ( في الشر الجاهلي ) ويقول

« والامر لا يقف عند هذا الحد ، فواضح جدا لكل من له إلمام بالبحث التاريخي ، وبدرس الاساطير والاقاصيص خاصة ، أن هذه النظرية متكلفة ، مصطنعة في عصور متأخرة دعت اليها حاجة دينية ، أو اقتصادية ، أو سياسية .  
للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنها أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودها التاريخي ، فضلا عن اثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ونشأة العرب المستعربة »

يقول صاحب الذيل « وحقبة الامر في قصة اسماعيل أنها دسيسة لفتحها قداماء اليهود للعرب ترافعا اليهم »  
فيأني ذلك الحاكي المقاد الا أن يقول مثله ، فيقول في كتاب في الشعر الجاهلي « ونحن مضطرون الى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة .

أخرى، وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون شمال البلاد العربية، ويبنون فيه المستعمرات، فنحن نعلم أن حروباً عنيفة شبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد، وانتهت إلى شيء من الملاينة والمسالمة، ونوع من المحالفة والمهادنة، فليس يبعد أن يكون هذا الصلح الذي استقر بين المغيرين وأصحاب البلاد منشأ هذه القصة التي تجمل العرب واليهود أبناء أعمام»

ويقول صاحب الذيل «ولما ظهر محمد رأى المصلحة في اقرار القصة فأقرها، وقال للعرب إنه إنما يدعوهم إلى ملة جدتهم هذا الذي يعظمونه من غير أن يعرفوه»

فيأبى ذلك الصدى إلا أن يقول مثله أيضاً فيقول في صحيفة ٢٧ «ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو أن ظهور الاسلام وما كان من الخصومة العنيفة بينه وبين وثنية العرب من غير أهل الكتاب قد اقتضى أن تثبت الصلة الوثيقة

المتينة بين الدين الجديد وبين الديانتين القديمتين ديانة النصارى  
وديانة اليهود . ، فما الذي يمنع أن تستغل هذه القصة قصة  
التقاربة المادية بين العرب العدنانية واليهود »

لم يدع ذلك المقلد فكرة من أفكار صاحب الذيل في  
هذه المسألة الا انتحابها حتى قوله ( إن الوثنيين قبلوا هذه الفكرة  
لانهم رأوا اليهود والنصارى متفقين على تعظيم هذا الاصل )

فيقول في كتاب الشعر الجاهلي ( وقد كانت قريش  
مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الاسطورة في القرن  
السابع للمسيح ) فمن المعقول جداً أن تبحث هذه المدينة  
الجديدة لنفسها عن أصل تاريخي قديم يتصل بالاصول التاريخية  
الماجدة التي تتحدث عنها الاساطير ، ثم قال في ص ٢٩ من الشعر  
الجاهلي « أمر هذه القصة اذن واضح فهي حديثة العهد  
ظهرت قبيل الاسلام واستغلها الاسلام لسبب ديني ، وقبالتها  
مكة لسبب ديني وسياسي أيضا ، واذن فيستطيع التاريخ الادبي

واللفوي الا يحفل بها عند ما يريد أن يتعرف أصل اللغة  
العربية الفصحى »

لقد بان الآن أن الدكتور سرق بحته هذا من صاحب  
ذيل مقالة في الاسلام ، وانما حكمنا بهذا لان كتاب ذيل  
مقالة في الاسلام أقدم من كتاب في الشعر الجاهلي فانه طبع  
للمرة السادسة في سنة ١٩٢٥\* )

وليته حين سرق ، فهم ما يسرق وأداه على وجهه ، ولو  
فعل لكان محتاطا لنفسه كصاحب الاصل من الغاظ الفاحش  
والنقض البين ، يجعل صاحب الذيل التوراة هي الاصل  
ويعرض عليها القرآن ، فان خالفها طمن فيه ، أما الدكتور  
فيكذب بالتوراة والقرآن جميعا ، فلا يكون بيديه شبه دليل  
إلا قوله - كل من له علم بالا قاصيص بعلم - ونستطيع أن نقول  
وهذه دعاوى مجردة

ويؤمن صاحب الذيل بوجود ابراهيم واسماعيل .

ويكذب أبوة اسماعيل للعرب، فيأتي المقلد فلا يفهم عنه هذا ،  
فيكذب بوجود ابراهيم واسماعيل فضلا عن أبوتهما للعرب،  
ويرى أن تلك حيلة اخترعها اليهود

كان صاحب الذيل فطنا محترسا ، وكان حاكيا قليل  
الفتنة، وقليل الاحتراس، فاصطدم بالنقض الآتي :

ان التوراة قد انتشرت في البلاد قبل نزوح اليهود الى  
يثرب وما حولها، في جزيرة العرب، وكان فيها ذكر ابراهيم  
واسماعيل، فلم يكن ذلك من صنع اليهود الذين كانوا بين ظهرائي  
العرب حيلة منهم للتقرب اليهم

ولنتنازل عن ذلك، ونسلم جدلا أنها نشأت بعد نزوح  
اليهود الى يثرب وما حولها، فيبقى أنه لو كان يهود يثرب هم  
الذين اخترعوها حيلة فما هو السر في أن كان ذكر ابراهيم  
واسماعيل في جميع نسخ التوراة التي في البلدان المختلفة ؟ أكان  
يهود يثرب هم كل يهود العالم ؟ أم كان يهود يثرب لهم الساطة على  
جميع يهود العالم ؟ فأى زيادة زيدونها في التوراة عندما حكموا

على جميع اليهود أن يزيدوها في نسخهم؟ انه ليس هذا ولا ذلك وما أتى ذلك كله إلا من هذه الدعوى .

أما صاحب ذيل مقالة في الاسلام صاحب الفكرة الاصلية فقد كان مع سخفه أفطن لهذه الاعتراضات التي ذكرناها من حاكيه المقلد فصدق بوجود ابراهيم واسماعيل وكذب بأبوتها للعرب فقط، وزعم أنها حيلة اخترعها اليهود، وهو حين يذهب الى هذا يكون أفطن من حاكيه ، ولا يرد عليه ما يرد على الدكتور

فقد بان من هذا أن الدكتور قد سرق بحثه من كتاب سخييف، ولم يفهمه على وجهه ، فوقع في التناقض الذي فطن له الاصل، فاحترس من أن يقع فيه. ثم بعد هذا يقال (الدكتور يبت البحث الادبي، ويعلم طرائقه)؟ إن الدكتور ليس كذلك إلا في بلد قليل الاطلاع، وفي بلد يعد الجهل فيه علما. وهذان المريض بحثا، ومصادمة المنطق طرائق التفكير والبحث ???  
الدكتور لا استطاع أن يعوض؟ إن مما نخجلنا أمام

الاجيال المقبلة وأمام جاراتنا أن يكون هذا المقتصب المتهافت، المجانب للمنطق، رائجا في مصر، لا تعلم الأمة زيفه ولا التواء تفكيره، ويقول رئيس جامعتها انه لا يعوض. اننا لم نشأ أن نلقي القول دون دليل وبرهان، بل سقنا الدليل عليه. وأثبتناه بالوقائع الملموسة، وبيننا للناس أرقام الصفحات وأريناهم على ضوء البحث قيمة بحاثهم، فحسى أن يكفوا عن ذكر البحث الادبي، وطرائق البحث وما الى ذلك، وان أبوا إلا أن ينعتوه بما ينعتونه به، فنحن نعلم ان الناس جميعا أننا لا نرى في هذا البجائة إلا منيرا، يسرق أكفان الموتى، الماهلة، البالية، فيزيدها هاهلة وبلى، ويلبسها ويخرج بها على الناس، فأما الذين أوتوا العلم فيشمون منها أكفان الموتى، ويرون فيها صديدهم وتراب القبر، ويعلمون ما فيها من درن وبلى، وأما أنصار الدكتور فيحسبونها أثوابا جديدة من نسيج يده، ويعمدونه بعد ذلك صناع اليد، ماهرافي البحث والتنقيب.

## السياسة الاتحادية في التعليم

يتنازع الناس في مصر سياستان في التعليم ، احدهما دينية ،  
والاخرى لادينية : أما الاولى فهادئة لينة تمشي على بطء  
وكسل ، وأما الثانية فرحة نشيطة جادة عاملة ، يخاف منها  
وتتقى ، لا تترك فرصة لهدم الدين إلا اقتصرتها ، ولا بابا  
للتشكيك فيه الا اقتحمته ، وهذه السياسة يمثلها الدكتور طه  
حسين ومن لف لفه ممن يؤيدون سياسته

واني أريد أن أناقش هذه السياسة الحساب ، وأفندما  
وأبين عواقبها الوخيمة ، وأضرارها السيئة على العباد والبلاد ،  
وقبل ذلك لابد من أن أبين ان للدكتور ومن يؤيده هذه  
السياسة الاتحادية

نستطيع اذا صح استقرارنا لاعمال طه واستنتاجنا  
منها ، أن نحكم على سياسته التعليمية بأنها كانت سياسة  
واسعة النطاق ، ذات عناصر كثيرة ، وأهم عناصرها أنها

كانت سياسة لا دينية . وليس هذا التعبير طبقاً للمعنى كما  
يجب ، إذ يحتمل ذلك أنها كانت سياسية لا تناصر الدين ولا  
تخذاله ، ونحن نريد أنها سياسية كانت تعادي الدين وتحاربه ،  
وتسعى في إزالة سلطانه على القلوب ، فلنسمها إذن سياسة  
هدم العقائد الدينية ، ولكي ننصفه ونحمل القاريء على  
الاطمئنان إلى هذا الحكيم ، نقدم للقاريء عناصر هذا الحكيم ،  
فإن اطمأن إليها فذاك ، وإلا فهو في حل من أن يرى رأياً  
غير هذا الرأي .

إنك حين تقرأ ما يكتبه الدكتور في الجرائد مما له  
مساس بالدين تحس من سطوره الالحاد والدعاية إليه ، فتجده  
مثلاً قد كتب في السياسة الاسبوعية عدده « ظهر تناقض  
كبير بين نصوص الكتب الدينية ، وما وصل إليه العلم من  
النظريات والقوانين . فالدين حين يثبت وجود الله ، ونبوة  
الأنبياء يثبت أمرين لم يعترف بهما العلم ، فالعالم الحقيقي

ينظر الآن الى الدين كما ينظر الى اللغة وكما ينظر الى الفقه  
وكما ينظر الى اللغات، من حيث إن هذه الاشياء كلها ظواهر  
اجتماعية يحدثها وجود الجماعة .... وإذن نصل الى أن الدين  
في نظر العلم لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحي . وإنما  
خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها» اهـ

وكتب مرة يقول : إن الدين يؤولون نصوص الكتب  
السموية ليوفقوا بينها وبين العلم ينافقون الدين والعلم معاً ،  
ويرى أنه يجب أن يؤمن بالعلم ويؤمن بالدين وإن تناقضا ،  
ويجمع بين النقيضين في الايمان

وهذا رأي أخطر شيء على الدين ، لان تأويل الدين  
ليتفق مع العلم هو مادة بقاء الاديان ، واذا نزع منها ذلك  
جهدت واستمعت على البقاء ، وما يدعو إليه من الايمان بالعلم  
والدين معاً فيما يتناقضان فيه لا يخفى ما فيه من الخداع ، لانه  
من المعلوم حتى للاطفال أنه لا يمكن التصديق بالنقيضين ،

فلا يمكن الايمان بان البحر الابيض مالح، وليس مالحاً من شخص واحد في وقت واحد، وقد عرف النقيضان بأنهما لا يمكن اجتماعهما في الصدق والكذب .

وما إن اقتعد الدكتور كرسي الجامعة المصرية حتى أخذ يهدم في الدين بكل وسيلة، ونحن نكتفي هنا بالآراء التي طبعها .

أخرج الدكتور كتابه (في الشعر الجاهلي) فكذب فيه القرآن، ورماه بأنه يستغل الاساطير لغرض ديني، فقد قال فيه في ص ٢٦: للتوراة أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنها أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودها التاريخي .

وذكر فيه أن قصة إبراهيم وإسماعيل أسطورة نشأت في عهد قريب من الاسلام، اخترعها اليهود لغرض سياسي، وقيامها قرينش، واستغلها الاسلام لغرض سياسي وديني معاً .

وقد نقل ذلك عن ذيل مقالة في الاسلام لمبشر شديد التعصب  
كما بينا ذلك في بعض ما كتبناه .

والمقصود هنا أن نبين أن الدكتور في دروسه لتلامذته  
بالجامعة كان يثبت فيها الاحاد ، ويكذب بأخبار القرآن ،  
ويصفه باستغلال الاساطير ، ويأخذ أقوال المبشرين التي  
ما كان يحلم أصحابها بأن تدخل أحط المكاتب ، فيزجها في  
الجامعة المصرية في ثوب النقد الادبي ، ويقوض تحت سلطان  
النقد أعز معتقدات الامة عليها .

فان قيل قد زعم رئيس الجامعة (أحمد لطفي بك السيد)  
أن هذه المسألة لم يدرسها للتلاميذ ، فكيف تزعم انه كان يدرسها  
لهم ؟ ، قلنا: إن للطنفي السيد أن يقول ، ولنا رأينا فيما يقول .  
إن الدكتور قد ذكر في أول كتابه ( في الشعر الجاهلي ) أنه  
أذاعه على تلاميذه وليس سرا ما تحدث به الى مائتين من  
التلاميذ ، فلما نترك قول المؤلف نفسه في حالة ليس فيها

دواع إلى الكذب ، وتأخذ بقول لطفي السيد في حالة الدفاع  
عن صاحب الكتاب (١)

على أنه قد كتبه وأذاعه على الطلاب وعلى غير الطلاب ،  
وذلك أكثر ذيو عاله مما يتحدث به في حجرات الدروس ،  
وقد خطب الدكتور طه حسين في حفلة أقامها طلبة كلية  
الآداب بتاريخ ٦ شهر ٤ سنة ١٩٣٢ خطبة نشرت في أهرام ٧  
ابريل سنة ١٩٣٢ جاء فيها :

أرجو أن يكون بيننا عهد كما أرجو أن يبلغه الحاضرون  
إخوانهم إلا نؤمن إلا بالعلم  
إذن ، فالدكتور طه حسين ذو سياسة غرضها هدم  
المقائد الدينية .

أظن أن هذا يكفي لآن يستنتج ما ذهبت إليه من أن  
سياسة الدكتور وأشياعه التعليمية هدم الدين ، فانضع هذه  
النتيجة ، وناقشه ومن يذهب مذهبه في هذه السياسة. ليس

---

(١) أي وهو استأذنه وقد لقبه بابنه البكر

يكفي أن نقول هذه سياسته ، بل لا بد من نقدها ومناقشتها ،  
ولسنا نناقشها من جهة أن الدين حق ، ومن الباطل لإبطال  
الحق ، لئلا ندخل في مجادلات دينية ليس هذا محلها ، وإنما  
نناقشهم ونتحاكم معهم إلى مصلحة المجموع وقواعد الاجتماع ،  
ونبين أي السياستين أدعى إلى تقدم العمران ؟ وأيها أدعى  
إلى تقويضه ؟ ونبين آراء الفلاسفة في هذه المسألة من  
مؤمنين وملحدين :

إذا نظرنا إلى الدين في مجتمعا ، وجدناه رابطة بين الأفراد  
كرابطة اللحم والدم ، جمع بين الأمة ووحدها ، وجعلها كتلة  
متماسكة تشعر بشعور واحد ، وتسمى لمصالحتها ، وتدفع عن  
وجودها . وهو فوق ذلك أس الأخلاق عندها ، كما هو أس  
الأخلاق عند الأمم الأخرى ، بنيت أخلاقها ومدنيتها  
وحضارتها عليه ، فمن يسعى في هدم دينها فانما يسعى في  
تقويض أخلاقها ، وتفكيك عراها ، وحل وحدتها ، وما  
بقاء الأمم إلا بهذين

الدين في النفوس هو ذلك الضمير الحي الذي يبعث  
الشخص إلى أن يضحي بنفسه لمصالح المجتمع، هو ذلك الضمير  
الذي يمحض على الفضائل الاخلاقية الاجتماعية، وينهي عن  
الذائل التي تفسد المجتمع، وتهد من قوته

إن هؤلاء الذين ينشرون الاحاد في الامة قوم قد  
تعلموا تعاليم ناقصا، فلا وقفوا مع العامة. ولا تغفلوا في أعماق  
العلم حتى كانوا مع الخاصة، ولو فعلوا لعرفوا للدين قيمته  
الاجتماعية، وعلّموا أنه ضروري للمجتمع، ولأيقنوا أن  
الخدمة التي يؤديها للأمة لا يغني غناؤه فيها غيره، لا من جهة  
ما يعطيه من أسس للأخلاق، ولا من جهة ما يزرعه من  
الحبة والالفة والتراحم والاحسان بين المجتمع الواحد، ولا  
من جهة ما يشرب النفوس إياه من حب العدل، والعفة، والمثل  
الاعلى، ولا من جهة ما يفرسه من الامل الذي يجعل الحياة  
راضية سعيدة، ويبين على مصائبها وبلاياها وشرورها

إن أصحاب هذا السياسة لم ينظروا إلى المسألة بحذافيرها،

وإن كل الفلاسفة الذين هم جديرون بهذا الاسم يرون للدين  
هذه المنزلة ، وسأنتقل لك رأي الفيلسوف ابن رشد ما يخص  
كتب أرسطو ، وأعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ، وفيما أنقله ما  
يعلمك موقف الفلاسفة المتقدمين من الدين

قال ابن رشد في ص ١٢٩ من كتابه (تهافت التهافت)  
« أما ما نسبته أبو حامد<sup>(١)</sup> من الاعتراض على معجزة  
إبراهيم عليه السلام فشيء لم نقله إلا الزنادقة من أهل الإسلام ،  
فإن الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التسكّم ولا الجدل  
في مبادئ الشرائع ، وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب  
الشديد ، ولذلك يجب على كل إنسان أن يسلم بمبادئ الشريعة  
وأن يقلد فيه ، ولا بد من هذا الوضع لها ، فإن جحدتها  
والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان من حيث الفضيلة ،  
ولذلك وجب قتل الزنادقة ، فالذي يجب أن يقال إن مبادئها

---

(١) أي نسبه إلى الفلاسفة

هي أمور إلهية تفوق العقول الانسانية فلا بد أن يعترف بها مع جهل أسبابها ، ولذلك لا تجد أحداً من القدماء تكلم في المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم ، لأنها مبادئ تثبتت الشرائع ، والشرائع مبادئ الفضائل ، فان تمادى به الزمان والسعادة الى أن يكون من العلماء الراسخين في العلم فمعرض له تأويل في مبدأ من مبادئها فيجب عليه ألا يصرح بذلك التأويل ، وأن يقول فيه كما قال تعالى ( والراسخون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا ) هذه حدود الشرائع وحدود العلماء ، اهـ

أنظروا أيها الداعون إلى تقويض الدين إلى تلك الكلمة الذهبية ( إن جحد مبادئ الشريعة والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان من حيث الفضيلة ) أنظروا إليه كيف يقول ان الحكماء من الفلاسفة لا يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ الشرائع .

وقال أرنست رينان في كتابه تاريخ الأديان ( من الممكن

أن يضمحل ويتلاشى كل شيء ونجبه ، وكل شيء نعدده من مبادئ  
الحياة ونعيمها . ومن الممكن أن تبطل حرية استعمال القوة العقلية  
والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين أو التلاشي ، بل سبق  
أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يود  
أن يحصر الفكر الإنساني في المضائق الدنيئة للحياة الأرضية له  
وليس احترام الدين مقصوداً على الفلاسفة المتدينين  
بل إن الفلاسفة الجاهدين القديين لا يدينون بدين يحترمون  
الدين ، ويعرفون له فضله في إنهاض الأمم ، وتشديد الحضارات ،  
هذا جوستاف لوبون الفيلاسوف الفرنسي يقول في كتابه  
( سر تطور الأمم )

« فان قيل إنها طيف لا حقيقة له ، قلنا طيف وجب  
احترامه . فبفضله عرف آباؤنا حلاوة الأمل ، وانطلقوا وراء  
للك الأوهام انطلاق الشجاع أصابته جنة . فانقذونا من الحمجية  
لاولي ، وأوصلونا إلى ما نحن فيه الآن . كذلك كانت الأوهام  
أشد عوامل الحضارة تأثيراً »

ويقول في ذلك الكتاب أيضا «وعلى الفلاسفة الذين يقتلون  
الأدهار في هدم ما بناه المؤمنون في يوم واحد أن يخروا لهم  
ساجدين» فانهم حلقة من سلسلة تلك القوى الخفية المهيمنة على  
الكائنات ولقد جاؤا بأعظم الحوادث التي خلدت في بطون التاريخ  
هؤلاء هم العلماء الذين أدركوا حقائق الكون، وأصول  
الاجتماع، ووجهوا علمهم الى ما يفيد الانسانية، لا الى ما  
يفسدها، ويقوض أركانها

لقد ضعف الدين في نفوسنا معشر المصريين بسبب  
إهماله في مدارس الحكومة، وبما يوجه إليه من طعون في  
المجلات والصحف، فضعف فينا كل شيء، ضعف عاطفة  
الإحسان فليس منا — الا قليلا — من يحسن الى البائسين،  
ويبتعد عن المكروبين، ويبب ماله للمصالح العامة

ضعف فينا سلطان العقل على النفس، وعلى الشهوات،  
فضاعت أموالنا في سبيل شهواتنا ولذائذنا، وأدى ذلك

الى فقرنا المدقع

ضعفت فينا - الا قليلا منا - حاسة الشعور بالواجب  
وطهارة الذمة والعفة عن أموال الآخرين

ضعفت فينا أخلاق الشهم والمزدة والعدل ، فماذا تريدون  
أيها الناصرون للسياسة اللادينية في المدارس بعد ذلك ؟

ان الامة قد أشفت ، ولم يبق منها الا الدماء ، فأشفقوا  
على البقية الباقية من أخلاقها

انها قد أصبحت لهما على وضم ، فأنهضوها من كبوتها ،  
بدل أن تجهزوا عليها ، حنانيكم بعض الشر أهون من بعض  
أعلم أنكم تتولون ( حقائق العالم ، والنقد الادبي ، وما  
دام العالم يمرض الدين فنحن نضحى بالدين لاجل العلم )  
ولكنني أقول لسيكم : ان الدين لا يتعارض مع حقائق العلم  
العملية كحقائق الكهرباء والبخار ، فهما استكشف العلماء  
من حقيقة تقرب المواصلات ، وتسهل المخاطبات ، وتخفف  
آلام الانسانية ، وتدني من سمادتها ، فان تخالف الدين

لأنما يخالف الدين تلك الآراء التافهة الفجة التي تدعونها تاريخنا  
أديبا ، واصطاحتم خطأ على تسميتها علما

خذوا مثلا كتاب الشعر الجاهلي ووازنوا بين ما تكسبون  
وما تخسرون ، إنكم تكسبون أن شيئا كثيرا مما نسميه شعرا  
جاهليا ليس شعرا جاهليا ، وتخسرون ضياع الدين من نفوس  
الناشئة ، وانهار الاخلاق بانهاره

هبوكم كسبتم أن الشعر الجاهلي لم يوجد ، وأن مجنون  
ليلي شخص خيالي اخترعه الرواة ، أكنتم بذلك تسامون  
أهم أوروبا في حقائق علوم الطبيعة والكيمياء ؟ أكنتم بذلك  
أقدر على استنبات الارض ، واستغلال أسرار الكون ،  
ومعرفة طرق الاقتصاد ؟ أكنتم بذلك مخفقين ويلات  
الانسانية ، مستكشفين طرقا لنعمتها ورفاهيتها ؟

لتهنا الانسانية منذ اليوم ، فقد خفت ويلاتها وشروورها ،  
ويا أيها الركبان الغادون الرائحون في الآفاق ، زفوا البشري

الى كل من لقيتم من أبناء آدم وحواء ، ولم لا ؟ ألم يستكشف  
طه حسين أن الشعر الجاهلي لم يوجد منه الا القليل ؟ ألم تكن  
هذه الحقيقة خيرا مما استكشف علماء أوروبا من حقائق  
البخار التي سirt القاطرات في البر والبحر ، ومن حقائق  
الكهرباء التي أنارت الخالك من الدجنة ، ومن قوانين الصوت  
التي نقلت الاصوات من قارة الى قارة في الزمن اليسير ؟  
صدقوني أنها حقيقة ثمينة ومفيدة جدا ، وقد ضحى  
المستكشف لها بالدين ، الأترون صاحبها نخورا بها ؟ يتحدى  
وزارة المعارف بها ويبدل عليها ، ويقول ان معدتها لا ترضعها ؟  
لا تمزقوا يا قوم وجدوا لحظة من الزمان ، لا تسرفوا  
في الضحك على ذقون أممكم ولحاهم ، وتقولوا «العلم والبحث»  
وتفروها بذلك ، وتسرفوا في هذا الغرور وهذا الخداع ؛  
(حمار جازنا قد مات ، وأتانه قد ولدت \* مجنون ليلى لم يوجد  
والشعر الجاهلي الذي بأيدينا ليس كله شعرا جاهليا ) كلاهما

علمه لا ينفع في الحياة ، وجهره لا يضر ، ولا يقدم الامة  
في حياتها الاقتصادية ولا في أخلاقها شيئا

ان سياسة هدم الدين التي سايكها بعض أساتذة الجامعة  
جعات الحكومة المصرية متناقضة أو عابثة ، تبني بيد ، وتهدم  
مابنته باليد الاخرى ، فبينما هي تعلي من شأن الدين ، وتقوي  
فيه في المعاهد العلمية الدينية ، وفي مدارسها الأولية ، والابتدائية ،  
وتنفق على ذلك النفقات الكثيرة ، اذا هي تنقض الدين من  
أساسه في الجامعة ، وتنفق على ذلك النفقات الكثيرة أيضا ،  
تبني وتهدم ماتبني ، وتنفق وتسخر في الاتفاق على هذا

البناء ، وعلى هذا الهدم

فيكون مثلها كرجل يبني قصرا ويشيده ، ويستأجر  
المهندسين والعمال على تشييده ، ويستأجر الهدامين على هدم  
ما يبني الاولون ، ويبقى كذلك في بناء وهدم ، احدي اثنتين :  
اما أن تؤمن الحكومة بصلاحيته الدين وضرورته ،

وأما أن تؤمن بنقيض ذلك ، فإن كانت الأولى فعليها أن تصونه من عبث العابثين ، وإن كانت الثانية فعليها ألا تتعب نفسها في تشييده وتوثيق قواعده، ولذلك نطلب من الحكومة بالحاح أن تعلن إلى الجامعة وغير الجامعة أن سياستها في التعليم ليست الحادية ، فلا تبيح الدعوة في المدارس إلى نبذ الدين ، ونرى لذلك أن تكون ذات اتصال وثيق بالجامعة في هذه النقطة ، لئلا يقع مثل هذا التناقض ، أو العبث الذي أشرنا إليه ليست دولة من الدول تعلم الأحاد في مدارسها إلا دولة السوفيت ، وهذه لا تزال تحت التجربة ، فهل نريد أن نحكيها ؟ وإذا كان لا بد من المحاكاة فثمت الدول العظمى ، كبريطانيا العظمى والولايات المتحدة فلنحكاكها لا تسر هذه الحركة الاحادية في الجامعة المصرية إلا المبشرين ، وأناى أرى أنه يجب على جماعات المبشرين والدول التي تساعدنا لنهاية كان لهم فيها في القديم بعض العذر أن

يغيروا سياستهم الآن ضد الدين — أرى ذلك وأدعو إليه  
لان الزمن قد تغير، ولم يبق النزاع بين مسيحية وإسلام فقط،  
بل دخل خصم ثالث، هو عدو اللاديان جميعها وهو الاتحاد  
فمن يخرج من الاسلام يتلقفه الاتحاد، فليس من مصلحة  
الاختين الشقيقتين المسيحية والديانة الاسلامية أن تقفا  
متخاصمتين، فتضعف قواهما، ويستفيد من ذلك العدو الالذ  
المشترك، الراصد بالباب، يستفيد من ضعفهما كاتيهما  
بل من مصلحتهما أن تتركا النزاع مؤقتا، وتتماقدا معا  
على دفع هذا العدو المغير الذي يرى رجال التبشير فتك  
الدريع بالدين والمتدينين  
وأما أنه يجب على الدول ذلك، فلأن الدين حجاز بين  
المسلمين وبين البولشفية، فكما ضعف الدين ضعف ذلك  
الحجاز بينهم وبين البولشفية الممتوتة التي هي عدو مشترك  
لكل الدول الآن

لقد ناهضت أوروبا الدين حقبة من الزمن لغاية سياسية  
وهي أنها أرادت أن تتخلص من سلطة رجال الدين الذين  
افتاتوا عليها ، ولكنها لما أدركت غرضها كفت عن مناهضة  
الدين ، والآن لما رأيت أن الاخلاق تتدهور ، والاباحة  
تتسلط على الجماهير ، وخافت سوء العاقبة ، عادت الى تقويته ،  
وهرع الناس الى ساحة الدين ، يلتمسون العون منه على  
النجاة من هذا التدهور والانحطاط

فهل آن لنا بعد هذا البيان أن نعلم أن مناهضة الدين  
خرق ، وأنه ضار بوجدتنا وبأخلاقنا أبلغ الضرر وأشدّه ؟  
هل آن لنا أن نتعهد على نصر الدين وتقويته في نفوس  
الامة ، لتقوي ووجدتنا ، وأخلاقنا ، وروح الخير فينا ، ونذكر  
من تقوية الدين ما أدركه آباؤنا الاولون ، ودول أوربة  
المستنيرة الآن ؟

إنه لا يزال عندي شيء من حسن الظن ولا تزال  
عندي بقية من أمل وفق الله المسلمين إلى ما فيه خيرهم ونفعهم .

## القرآن الكريم

( الم \* ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين )

( الر \* كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن

حكيم خبير )

وقال رسول الله ﷺ « عليكم بكتاب الله فان فيه نبأ

من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، من يده من

جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو

جبل الله المتين ، وأمره الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو

الذي لما سمعه الجن لم يتناءوا أن قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا

يهدى إلى الرشـد) هو الذي لا تختلف به الالسنه ، ولا يخلق

على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه »

وبعد . فليست أثنى على القرآن الكريم إلا بما يشهد به

التاريخ ، وتثنى به عليه الاجيال ، وليست أنحله من الفضائل

إلا ما يقوم الدليل عليه .

إن هذا الكتاب الكريم قيس من نور الله ، ونقحة  
من نقحاته ، وسر من أسرارهم تظفر بثله أمة من الأمم إلا  
الامة الاسلامية ، ولم تأت به نخلة من النخل إلا الديانة  
المحمدية - هذا الكتاب ليس مثله كتب الاخلاق التي وضعها  
الفلاسفة المتقدمون ، كجمهورية أفلاطون ، وأخلاق  
أرسطوطاليس ، وكتاب السياسة له ، ولا كتب الاخلاق  
التي وضعها فلاسفة الغرب ، وأيس مثله أيضا كتب الديانات  
السابقة ، كالانجيل والتوراة والزرور .

لان كل أولئك لم تؤثر في أممها اثره في أمته ، ولم تفعل  
في شعوبها فعلة في شعبه وفي سائر الشعوب التي دانت له --  
لعمرى أين منه الاكسیر الذي يبحث عنه الفلاسفة وعلماء  
الكيمياء . إن قصارى هذا الاكسیر أن يحيل النحاس ذهباً ، أما  
القرآن فهو يحيل النفس الانسانية الخبيثة الي نفس طاهرة  
خالوة ، وليس يفعل ذلك في فرد بل في شعوب وأمم ، ويبدل  
من الجهل علماً ، ومن الرذيلة فضيلة ، ويجعل الشعب الذي

لا يصلح للاجتماع ، ولا لأن يعيش أفرادهم مع بعض  
شعبا اجتماعيا ، من خير الشعوب الاجتماعية ، وينصبهم على  
الدنيا سادة ، ومعلمين ، ومهذبين ، وساسة عادلين ، وليس  
يفعل ذلك في الزمن الطويل ، وعلى الطريق المعروف الطبيعي  
بل هو يفعله في الزمن القصير المدى ، الذي لا يكفي لتهديب  
فرد ، بله أمة بأسرها ، فمثل في ذلك مثل ما يتخيله علماء  
الكيمياء من فعل أكسير الذهب الذي يحيل النحاس الى ذهب  
وشيكاسريا وهو لا يستحيل الى ذهب بفعل الطبيعة الا في  
آلاف السنين وهو مدفون تحت الارض تصهره حرارة  
قوية في باطنها .

وآية ذلك أن العرب كانوا اقوام متوحشين في جزيرتهم ، يأكل  
بعضهم بعضا كالوحوش الكاسرة ، والذئاب الجائعة ، كانت  
الحرب تقوم بين القبيلة والقبيلة فتمكث عشرات السنين حتى  
تبيد القبيلتين ، وكان لا يأمن الرجل أن يسير في طرق  
الجزيرة إلا بخلف ، أو جوار ، أو في شهر حرام ، حتى كان

للجزيرة أتون من نار يأكل من فيه ، ولا يصلح للقرار عليه ،  
وكان العرب مع ذلك على أخلاق فظة ، وعادات قبيحة ،  
فكانوا يثدون البنات ، ويهتكون الحرمات ، ويعبدون  
الاصنام ، وتستعبدهم الاوهام ، وتمايلهم الخرافات .  
فأرسل الله محمداً ﷺ بذلك الكتاب الكريم ( مثاني تقشع  
منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى  
ذكر الله ) فنقض طباعهم الوثيقة ، وأبطل عاداتهم المحيكة ،  
وصهر نفوسهم فأزال خبثها ووذائلها ، وعادت نفوسا كريمة ،  
لا تعلق بها وذيلة ، ولا تشوبها فاحشة ، وأرسل هؤلاء البدو  
الجفاة على العالم القديم المتعفن البالي يعلمونه ويهذبونه ويشفقونه  
ويحكمونه فيقيمون عدل الله في أرضه ، وقسطاسه في خلقه ،  
هذه معجزة اجتماعية لم يشهد مثلها التاريخ .

إن المرء قد يعجزه أن يهذب ابنه وهو حريص على ذلك  
مشتغل به ، مقصور عليه ، وربما أعجز بعض فلاسفة الاخلاق  
والاجتماع أن يصلح أسرته ، وأن يسوس بيته فتنتشر عليه زوجته ،

ويشذ عنه ولده ، وتأبى عليه أخلاق ورثوها أن تلين في يده ،  
وعادات اكتسبوها أن تستحيل كما يريد

أما محمد بن عبد الله عليه السلام فقد قام في الدنيا وحيداً فريداً ،  
الناس كلهم فريق وهو وحده فريق ، لا ناصر ينصره ، ولا  
يولي في الأرض يؤيده ، وليس بيده من أسباب القوة والغلب  
والسيطرة والسلطان شيء ، ولم يكن بيده إلا آيات من ذلك  
الكتاب ، تنزل من السماء مفارقة ، ويرسلها الله منجمة  
ماهذه الآيات ؟ ما هذه السور ؟ أي قوة تجثم وراءها  
وأي قدرة تستتر خلفها ؟ وأي سر من أسرار الكون تحمله  
في ضميرها ؟

إنها تحمل أعظم قوة في الوجود حتى كأنها القدر ، وتشتمل  
على سر خفي لا يعلم من أمره إلا أنه فوق القوى والقدر ،  
فما أرادت من الوجود شيئاً إلا كان كليل البصر ، قالت للطباع  
الوحشية النافرة حولي فحالت ، وللقلوب المتحجرة ليبي  
فلانت ، وللذائل النفسية زولي فزالت ، ولهذا المجتمع البدوي  
الذي كان شراً كله : كن خيراً كماك - فكان

كانوا قوما متعادين متباغضين فزالت العداوة والبغضاء  
وكانت قلوبهم مختلفة ، وأهواؤهم متنافرة ، فألف الله بين هذه  
القلوب ، وجمع هذه الأهواء ( لو أنفقت ما في الأرض جميعا  
ما ألفت بين قلوبهم : ولكن الله ألفت بينهم انه عزيز حكيم )  
كانوا قوما يعدو بعضهم على بعض فأصبحوا يدفعون  
العدوان عن العالم

وكانوا قوما من شذاذ الانسانية فأصبحوا قاعدة ، وكان  
لا يستفيد منهم الوجود إلا شراً فأصبحوا أجدى الناس فائدة  
وكانوا أعداء لأنفسهم وللانسانية فأصبحوا أحب الناس  
للناس ، وأرأف الامم بالامم ، وأعدل الشعوب بين الشعوب ،  
وكل ذلك في عمر قصير ، وزمن وجيز ، يقصر عن أن تراخ  
فيه نفس واحدة .

كان « رستم » اذا رأى المسلمين يجتمعون للصلاة يقول  
أكل عمر كبدي ، يعلم الكلاب الآداب  
ليأكل الغيظ كبداك ماشاء ، ولتحققك الضئيفة محبها فقد

قضى الله ولا راد لما قضى أن يتعلم هؤلاء الآداب والسياسة  
والاجتماع والفضائل والاخلاق والعلوم والفنون ، وأذن أن  
تقلب طباعهم ، وتحول أخلاقهم ، ويكونوا سادة الدنيا ، وزينة  
الارض ، وجمال العالم ، بما أحكم لهم من أسباب ، وما أنزل  
اليهم من آيات الكتاب .

هكذا فعل القرآن في القديم ، وهكذا يفعل في الحديث  
لوعني الناس به اليوم كما عني به أسلافهم بالأمس ، ولو عكفوا  
على درسه والبحث فيه ، واستخرج العبر منه ، ولو تحلقوا  
بأخلاقه ، وثرّبوا على آدابه ، واستيقنوا بيقينه ، ومكنوا  
لأيمانه حتى يستولى على نفوسهم فلا تتبع الجوارح إلا  
على مقتضى هذا الايمان

لو كان هذا الكتاب عند أمة غيرنا لجملوه ورد الناسك  
ولوحة المتعبد ، وكتاب المشرع ، وصحيفة الاخلاقي ، وقانون  
الاجتماعي ، وآداب السياسي ، ونموذج البياني ، ولكان كل  
شيء عندهم فيستولون به على كل شيء

ولكنه مني بنا فلم نعرف له قدره كما يجب ، ولم نحفل به  
كما ينبغي والشيء لا يعطيك خيره الا على قدر احتفالك به ،  
واجلا لك اياه ، ومعرفتك بقدره ، واستبصارك بخيره  
أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثمر  
كان سافنا الصالح يعامون ماني القرآن من خير ، وكانوا  
يروونه هاديا مرشداً اذا توفروا عليه ولذلك كان هجيراتهم  
القراءة فيه والتدبر لمعانيه ، وكانوا يكرهون أن يشغلهم عنه  
شغل حتى حديث رسول الله ﷺ

أخرج الحافظ عن قرظة بن كعب قال : لما سيرنا عمر  
الى العراق مشي معنا عمر وقال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا نعم  
مكرمة لنا ، قال ومع ذلك فانكم تأتون أهل قرية لهم دوي  
بالقرآن كدوي النحل ، فلا تصدوهم بالاحاديث فتشغلوهم ،  
جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم  
فلما قدم قرظة قالوا حدثنا فقال نهانا عمر

قرأت الامم الاخرى تاريخ القرآن ومبدأ الاسلام ،

هو عرفت للقرآن فضله في انهاض المسلمين، وعلم علماء الاجتماع  
منهم ورجال السياسة ورجال التبشير ان المسلمين لو عادوا الى  
الاستيقان به والتخاق بأخلاقه والتأدب بأدابه وتحليل حاله  
وتحريم حرامه لعاد اليهم مجدهم الاول، فساخطوا عليه المبشرين  
وصنائع المبشرين لينالوا منه ، وينفروا عنه ويرموه بكل  
كريمة ليبعد أبناء المسلمين عنه فيبعد عنهم الخير بقدر بعدهم  
عنه - هذا هو السر فيما تراه من حملات لا تني على القرآن  
الكريم .

ألا قد بلغت اللهم فاشهد ، ألا قد دلت المسلمين على  
الثغرة التي يتحدر منها اليهم أعداؤهم ليتقوها اللهم فاشهد ،  
ألا قد دلتهم على سر عظامتهم ، وسبب مجدهم ليسلكوا السبيل  
اليه ، اللهم فاشهد ، ألا قد أزحت الستار عن أعدائهم فأريتهم  
إياهم وخنابجرهم مغمدة في صدورهم ، وأيديهم ملوثة بدمائهم  
وأفواههم فاعرة اليهم ، وأضراسهم وأنيابهم تنهش في لحومهم  
وأكبادهم ، اللهم فاشهد ، ألا قد بلغت اللهم فاشهد

## تذييل

هذه فصول كنا كتبناها ردا على الناقد ونشرت في الجرائد في حينها ونحن نثبتها هنا ليعلم الناس قيمة بحوث الناقد وما فيها من مجانية لأساليب المنطق والتفكير يطالع على الناس الدكتور طه حسين بين كل آونة وأخرى بطائفة من أفكاره فيرى الناس فيها خلاف ما يعرفونه ، وقد يرون فيها ما يخالف معتقداتهم ، ومصادمة وتكذيبا لما أتتهم به الكتب السماوية ، ولما كنا قد درسنا الدكتور طه فيما يعرض له من بحث ورأينا له طرائق في البحث وخلالها تجمل لنتائج أبحاثه قيما زهيدة أردنا أن ندل الناس على بعض هذه الخلال فيه ، ونستشهد لهم من أبحاثه بما يدل على ظهورها فيه ليقرأوا له كتبه ورسائله يتحفظ ويحاورها بحيث أنزلها الله .

للدكتور طه حسين فيما يعرض له من الأبحاث خلة

الجرأة على الحق فهو يدفع في صدره للشبهة تمن له ، والخاطر  
يهجس بفكره ، ولا يكاف نفسه أثناء المثبت ، ولا تبصر  
المنصف ، ولا استقصاء العدل لعله أن يكون قد ند عنه مالو  
ظفر به لغير حكمه ، وخالف رأيه ، بل يطرح عن نفسه  
مؤونة الاستقصاء ، وكافة البحث ، ويستوطنيء مركب  
العجز ( والعجز مركب وطيء ) فيخرج بحثه نيثا لم تنضجه  
نار الروية ولا الاناة والتبصر

أحاول أن أعرض على الناس نموذجاً من بحثه بارزة منه  
الجرأة على الحق والتهجم بدون علم ، فأضع أيديهم منه على  
نما ذكرنا في مسوه بأيديهم منه ، وأريهم إياه فيصروه بأعينهم ،  
أحاول ذلك في أبحاثه فأراه كثيراً لا يعوز الطالب ولا يمنت  
الباحث ، ولا يشق على من يريد ، ولكن أظهر أبحاثه في  
ذلك وأجلاها ما كتبه في جريدة السياسة العدد ١٦ يناير  
سنة ١٩٢٥ تحت عنوان ( شعراؤنا ومترجم ارسطوالبس )

قال الدكتور في ذلك المقال « على أني أنتقل من هذا العيب الى عيب آخر يشبهه وقد اشترك فيه شوقي وحافظ ونسيم وغيرهم من الكتاب أيضا وهم أنهم لم يقرأوا كتاب الاخلاق ولم يقدروه قدره ، ولم يفتنوا للغرض من تأليفه وترجمته فهم قد فتنوا بلفظ الاخلاق ، وخيبل اليهم أن أرسططاليس قد قصد إلى إصلاح الاخلاق يوم ألفه ، وأن لطاني قد قصد إلى إصلاح الاخلاق يوم ترجمه . واصل الرجلين قد فكرا في شيء من هذا ، ولكنني أستطيع أن أذكر للشعراء والكتاب أن الغرض الاول من تأليف الكتاب وترجمته علمي لاعلمي ، وأن المؤلف والمترجم أرادا خدمة الفلاسفة قبل أن يفكروا في الوعظ والارشاد ، وما أظن أن كتاب ارسططاليس في الاخلاق يصلح مرجعا للوعاظ والمرشدين ، وإنما هو مرجع حسن لصديقتنا الدكتور منصور فهمي حين يدرس علم الاخلاق لطلابها في الجامعة وفي مدرسة الحقوق ، وما يخص ذلك أنه عاب الشعراء الثلاثة والكتاب معهم

بأنهم فتنهم لفظ الاخلاق ففهموا منه ان كتاب أرسطو في  
الاخلاق كتاب وضع لاصلاح الاخلاق وغرس الفضائل ،  
وقلع الرذائل من نفوس البشر ولم يعلموا أن الكتاب علمي  
وضع لخدمة العلم والفلسفة لاعلمي وضع لاصلاح الاخلاق  
وربما فكر الرجال ان في شيء من ذلك ، ولكنه يذكر أن الغرض  
من تأليفه وترجمته علمي لاعلمي ، ومن ذلك أخذ أن من عرضوا  
للكتاب بالتقريظ لم يقرأوا الكتاب ، وقد أُلح على ذلك المعنى  
فقال ( كلا يا حافظ لم تقرأ الكتاب ولم تتجاوز مقدمة الاستاذ  
لطفي السيد ، ولم تر المؤلف والمترجم مائتين في إطار ، وإنما  
تخيلتهما كذلك وأنزل شعرك عليهما هذا النور الذي تذكره ،  
وأنا زعيم بأنك لن تحاول ولن تماري فيما أقول ، فلو أنك  
قرأت الكتاب حقاً ورأيت الفيلسوفين في هذا الإطار يفيض  
عليهما هذا النور لقلت فيهما كلاماً غير هذا ، وهل تريد أن  
تقنعني بان شاعر مثلك مجيداً غنياً خصب الخيال يستطيع أن  
يفهم كتاباً ككتاب أرسطو ويفهمه دون أن يوحى اليه الشعر

آية من آيات البيان في وصف هذا العقل الذي لم تعرف  
الانسانية مثله بعد ، كلا أنت كشوقي لا تعرف ارستطاليس  
ولم تقرأ إلا ترجمة الاستاذ لطفى )

ونحن الآن نؤكد للدكتور طه أن الكتاب وضع  
لإصلاح الاخلاق وأن الغرض الاول منه عملي لاعلمي ، وننقل  
له من كتاب أرسطو نفسه ما هو نص في ذلك .

قال أرسطو في الباب الثاني من الكتاب الثاني من

كتاب الاخلاق صفحة ٢٢٩

١ - شيء لا يغرب عن النظر وهو ان هذا المؤلف

الاخلاقي ليس نظريا محضا كما قد يكون الشأن في كثير سواه

فليس لأجل العلم بما هي الفضيلة أن أوغلنا في هذه الابحاث

بل من أجل أن نتعلم كيف نصير فضلاء وأخيارا لانه إن لم

يكن كذلك صارت هذه الدراسة عديمة الفائدة أصلا ، فمن

الضروري اذا آن نعتبر كل ما يتعلق بالافعال لتتعلم اتيانها لانها

هي صاحبة السلطان في التصرف في خلقنا وفي اكتساب ما كاتنا  
كما قدمنا آنفا .

وقال في صفحة ٣٦٦ في الباب العاشر من الكتاب العاشر

١ - اذا كنا قد حددنا قدر الكفاية في هذه الرسوم  
والنظريات التي أتينا عليها ونظريات الفضيلة والصدقة واللذة  
فهل نظننا الآن قد أعمنا كل مشروعنا ام هل أولى بنا أن  
نظن كما قلته أكثر من مرة أن في الشؤون العملية ليس الغرض  
الحقيقي هو التأمل والعلم نظريا بالقواعد علما تفصيليا ، بل  
هو تطبيقها

٢ - ففما يتعلق بالفضيلة لا يكفي أن يعلم ما هي بل يلزم  
زيادة على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها أو إيجاد  
وسيلة أخرى لتصيرنا فضلاء وأخيارا

٣ - لو كانت الخطب والكتب قادرة وحدها على أن  
تجعلنا أخيارا لاستحقت كما يقول ( تيوغنيس ) أن يطالبها كل  
١٠ - تقض مطاعن

الناس وأن تشتري بأعلى الأثمان ، وما يكون على المرء إلا  
اقتناؤها ، ولكن لسوء الحظ كل ما تستطيع المباديء في هذا  
الصدد هو أن تشد عزم بعض فتیان كرام على الثبات في الخير  
وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقا للفضيلة وفيما بهدها اه  
فأرسطو طاليس يعترف أن هذا المؤلف الاخلاقي ليس  
نظريا محضا ، وليس لأجل العلم بما هي الفضيلة أن أوغل في  
هذه المباحث ، بل لأجل أن يتعلم هو والناس كيف يصيرون  
فضلاء ، ولو لم يكن الشأن كذلك لصارت هذه الدراسة  
عديمة الفائدة ، وجعل علم الاخلاق علما آليا عمليا ليس الغرض  
الحقيقي منه التأمل والعلم نظريا بالقواعد ، وإنما هو تطبيقها  
فلا يكفي أن يعلم ماهي الفضيلة ، وإنما يلزم رياضة النفس على  
حيازتها . فكيف تسنى للدكتور طه أن يصرخ في وجوه الناس  
قائلا : نحن نستطيع أن نؤكد للناس أن الغرض الاول من  
الكتاب علمي لا عملي ، وأن يخطيء الناس اذا لم يفهموا خطأه ؟  
هنا نحن أولاء بهذا النقد قد وقفنا القراء على رجل يعرض

له الخاطر الخاطيء فيعتقده ولا يكلف نفسه مؤنة البحث  
ليعرف أحق هو أم باطل، ثم يرمي به في ظهور أهل الصواب  
ونحورهم مشنعا عليهم إذا فهموا خلاف ما فهم

وهذا النقد كما يرى الدكتور طه على ما وصفناه، يرى  
رجلا يستطيل على الناس بما ليس فيه ويوهمهم أنه حال من  
الشيء وهو منه عاطل

ذلك أنه يؤخذ مما نقلناه عنه ومن قوله في تلك الكلمة  
نفسها) أريد أن أكون حرا، فأنا معتذر إلى شعرائنا الثلاثة إذ  
لاحظت أنهم جميعا قد عرضوا إلى ذكر أرسطو ليس وه دحوه  
وهم يجهلونه ويجهلون آثاره وأرجو أن يصدقوني - وهم  
يصدقوني - إذا قلت أنهم يجهلون حتى كتاب الاخلاق الذي  
أنشأوا لاجله هذه القصائد، وما أظن أن علمهم بهذا الكتاب  
يتجاوز مقدمة الاستاذ لطفي السيد وما أحسب أنهم جميعا  
قرأوا هذه المقدمة وأحاطوا بما فيها)

يؤخذ من ذلك إيماء أنه حينما قرظ كتاب الاخلاق

لأرسطو قبل ذلك عرض لأرسطو وهو يعرفه ويعرف كتاب  
الأخلاق الذي من أجله عمل التقریظ، وإلا كان واقعا في  
العيب الذي يعيب به الشعراء من تعرضهم لما لا يفهمون .  
وأنا أزعم أنه عرض لأرسطو وليكن كتاب الأخلاق وهو مجهول  
أرسطو من كل نواحيه، ولا أستثنى من ذلك شيئا إلا ناحية  
هي آهون نواحي أرسطو وأساسها، تلك هي الناحية التاريخية  
فأنا أقر له بأنه يعلمه من حيث هو مؤرخ للنظام السياسي عند  
اللاتينيين وبذلك ترجم له نظام الاثنيين — أما ما عدا هذه  
الناحية الوطيئة الذلول من تلك النواحي الصعبة الجموح كعلمه  
من حيث هو منطقي يصف طرائق العقل البشري في التفكير،  
ومن حيث انه سياسي يعلم ما هي المبادئ التي تقوي الممالك  
أو تضعفها، وما هي الاسباب في أن بعض الممالك ذو حكومة  
صالحة، والبعض الآخر ذو حكومة فاسدة؟ وما هي الاشياء  
التي يجب أن تكون لكل نوع من أنواع الحكومات الخ؟ نقول  
أما تلك النواحي فلا يعرفها ولا يعرف أرسطو من جهتها

أما أنه يجهل كتاب الاخلاق الذي وضع التقريظ من أجله فدليله ما بيناه من خطته في فهمه أن أرسطو لم يعمل كتابه لأصلاح الاخلاق، وأن عرضه علمي لاعملي، مع أن نصوص أرسطو في تقيض ذلك مكررة في غير ما وضع من الكتاب، وإنما ليست بالأمر الذي يخفى على من قرأ الكتاب، ولو كان قد قرأه حقاً ولو قراءة سطحية لما وقع في هذا الخطأ

وأما أنه يجهل أرسطو من النواحي الأخرى فاني أسوق له دليلاً كالذي ساقه لحافظ إبراهيم فأقول :

أتريدني يادكتور طه أن أفهم أن عالماً مثلك باللغتين اليونانية والعربية يعلم كنوز اليونان ومنهم أرسطو ودقاتهم من سياسة وأخلاق ومنطق وعلم طبيعي وإلهي؟ الخ ثم يعرف عن تلك الكنوز فلا يحمل إلى قومه منها جوهرة واحدة، بل يترك ذلك كله ويأخذ خرزتين من خرزهم هما الشعر القصصى عند اليونان ونظام الأثينيين، كلا لست أفهم ذلك، وإنما أفهم أنك لم تعرف الجواهر فأهديت الخرز، وأعوزك اللؤلؤ، فعلمت

بالإصداق ، وقصر باعك عن الشيء الجميل فرضيت بالحقير  
على ان الدكتور طه يكاد يعترف في بعض مقالاته بما  
قلنا، فقد ذكر في نقده للعقاد أنه كان من أثقل الدراسات عليه  
فلسفة ( كانت ) وأنها من ذلك النوع الذي لا يفهم  
والحق أن فلسفة أرسطو وأمثاله تعجز عتلا مثل عقل  
الدكتور طه، فلذلك جاوزها الى ما يستطيع من ترجمة القصص  
وتلخيصها، وما إلى ذلك من ترجمة الشعراء، والقول في حياتهم  
ومماتهم، وشعرهم وغزلهم الخ  
فاذا كان الدكتور يرمي الناس بدائه وينسب، فيصم الناس  
بأنهم يعرضون لشيء وهم لا يعلمونه، وهو الذي يفعل ذلك  
ويتزهي على الناس بما ليس فيه، فأى رجل يكون ???  
بهذه الجرأة على الحق، وذلك التهميم على الناس، وتلك  
الاستطالة عليهم بما لا يعلم، وذلك الإيهام بأنه قتل الشيء علماء، وهو لم  
يتذوق طعمه بطرف لسانه، ولم يشم رائحته بأنفه، وبذلك البحث  
السطحي وبذلك النظر الأهوج، والرأي الأحق، يعالج الدكتور

ما يعالجه من بحوث ، ليسفه الناس في آرائهم تارة ، ويكذب  
الأديان فيما جاءت به تارة ، ويوسع الاوائل تكذيباً وتفنيداً  
تارة ثالثة .

هـاءنذا قد قررت ان الدكتور أخطأ في فهمه ان كتاب  
الاخلاق ليس الغرض منه اصلاح الاخلاق ، وأخطأ إذ لم يقرأ  
الكتاب ليحق هذا الفهم ، وأخطأ إذ رمى غيره بأخطأ ، وأخطأ  
لانه رمى غيره بانهم لم يقرأوا الكتاب

وأقرر أنه هو الذي لم يقرأ الكتاب ، وأتحداه أن يتفصي  
عما رميته به ، وأتحدي معه تلاميذه ومن على شاكلته في  
الجامعة ، وقد صخخته في غير اين ولا هوادة لأستثير حميته  
للدفاع عن نفسه ، وأستفزه الذود عن حياضه ، فان لم يدفع عن  
نفسه بعد ذلك كله علمت أن العجز قد أخذ بمخنة (١) وتمثلت  
بقول الشاعر :

فما بقيا علي تركماني ولكن خفتما صرد النبال

(١) من دهائه انه لا يرد علي منتقديه حتى لا يشتمهم ردهم الفاضح له

# القرن الثاني

## ليس عصر شك واستهتار

( إلى الدكتور طه حسين )

السلام عليكم ورحمة الله : وبعد فاني أخالفك في ذلك  
الحكيم الذي حكمت به على العصر الثاني من انه عصر شك  
واستهتار ، أخالفك في الحكيم وفي طريقة استنتاجه جميعا، فهل  
لك أن تنصت إلي قليلا فان رأيت الحق فيما أقول رجعت  
اليه ، وإلا نبهتني على ما فيه من خطأ فارجع إليك ، فان طلبتي  
وطالبتك الصواب ، والحق تريد .

ليس معنى الحكيم على عصر بانه عصر شك واستهتار انه  
قد وجد فيه الشك والاستهتار ، إذ لا يخلو من ذلك عصر  
من العصور، وإنما المعنى أن الروح العامة فيه الشك والاستهتار  
وان غالب أفراد الشاكون والمستهترون، ولا يقدح في ذلك

أن يوجد الموقنون والمحتشمون على سبيل القلة والندرة ،  
وكذلك الحكيم على عصر بانه عصر يقين واحتشام . ولقد  
توصلت الى حكمك العام على العصر الثاني باستقراء حال طائفة  
من الادباء والشعراء والمترفين ، فرأيت فيهم الشاك والماجن  
فأخذت العصر بجريرة هؤلاء ، وحكمت بان العصر عصر  
شاك ومجون

وإن تصفح طائفة ووجدناها على صفة لا يعطي منطقيا  
الحكيم على عصرهم جميعا بان فيه هذه الصفة ، ولو كان ذلك  
الاستقراء القابل منتجاً لذلك الحكيم العام لخرجنا بحكمين  
متناقضين على ذلك العصر وعلى غيره من العصور

فإننا إذا تتبعنا سيرة الفقهاء والمحدثين والزهاد في ذلك  
العصر ، وجدناهم على مرتبة عظيمة من اليقين والتورع والزهد  
والاحتشام . فقيهم الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ وقد كان  
أفضل أهل زمانه علماً وزهداً وتقوى

لما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق ، وأضيفت اليه-

خراسان وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك استدعى الحسن  
البصري ومحمد بن سيرين والشامي وذلك في سنة ١٠٣ فقال  
لهم إن يزيد خليفة الله استخلفه على عبادته ، وأخذ عليهم الميثاق  
بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولاني ماترون  
فيكتب إلي بالامر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الامر  
فماترون ؟ فقال ابن سيرين والشامي قولا فيه تقية ، فقال ابن  
هبيرة ماتقول يا حسن ؟ فقال يا ابن هبيرة خف الله في يزيد  
ولا تخف يزيد في الله ، إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد  
لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث اليك ملكا فيزيلك عن  
سريرك ، ويخرجك من سعة الدهر ، الى ضيق القبر ، ثم  
لا ينجيك الا عملك . يا ابن هبيرة : إن تعص الله فانما جعل  
الله هذا السلطان ناصر الدين الله وعباده ، فلا تركبن دين الله  
وعباده بسلطان الله ، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .  
ومنهم عمرو بن عبيد المتوفى سنة ١٤٤ سئل الحسن عنه  
فقال للسائل : لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته ، وكان

الأنبياء ربه ، إن قام بأمر فقد به ، وإن فقد بأمر قام به ، وإن  
أمر بشيء كان أئزم الناس له ، وإن نهى عن شيء كان أترك  
الناس له ، ما رأيت ظاهراً أشبهه بباطن منه ، ولا باطناً أشبهه  
بظاهر منه ، قال له المنصور يوماً هل من حاجة ؟ قال لا تبعث  
إلي حتى آتيك . قال إذن لا تلقاني : قال هي حاجتي ، ومضى ،  
فأتبعه المنصور طرفه وقال : كلكم يمشي رويد ، كلكم يطالب  
صيد ، غير عمرو بن عبيد . ورثاه المنصور بقوله :

صلى الاله عليك من متوسد      قبراً مررت به على مروان  
قبراً تضمن مؤمناً متحنفاً      صدق الاله ودان بالمرقان  
لو أن هذا الدهر أبقى صالحاً      أبقى لنا عمراً أبا عثمان

ولم يسمع بخليفة يرثي من دونه سواه

ومنهم مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ وسيرته في العلم  
والتقوى معروفة ، لدغته عقرب وهو يقرأ الحديث فاربداً  
وجبه ، وتغير لونه ، واستمسك بخافة أن يقطع حديث  
رسول الله ﷺ قال الشاعر فيه :

يذر الجواب فما يراجع هيبية والسائلون نواكس الاذقان

عز التقي وفضل سلطان النهي فهو المهيب وليس ذاساطان

ومنهم محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ وأبو

حنيفة النعمان ، وأحمد بن حنبل ، ومالك بن دينار المتوفى

سنة ١٣١ ، وعبدالله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ ، وربيعه الرأي

المتوفى سنة ١٣٦ ، ورابعة المدوية المتوفاة سنة ١٨٥ ، وابن سيرين

والشعبي وكثير غيرهم ، وإنما سببنا أن نمثل ولا نستقصي ، وما

منهم إلا من ملك نفسه ، وكان أنفع الناس للناس ، وسيرتهم

في العلم والزهد والتموى يعرفها من عني بدرس حياتهم

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم

بعد المئات جمال المكتب والسير

فها نحن أولاء قد وجدنا طائفة عظيمة موقنين محتشمين

والدليل الذي نتبعه أن الحكيم على عصر يتبع الحكيم على طائفة

فيه ، فهو عصر يقين واحتشام ، وقد كان عصر شك واستهتار

فقد خرجنا بحكمين متناقضين والتناقض باطل فما أدى إليه فهو باطل ، وهو الدليل

والحق أن تتبع سيرة طائفة يعطي الحكم عليها فقط ، أما أنه ينقل الحكم الى بقية الطوائف فلا . فطائفة العلماء والفقهاء والمحدثين والزهاد موقنون محتشمون ، وطائفة الشعراء والادباء فيهم شك واستهتار ، فاذا أردنا أن نحكم على العصر فسبيلنا أن نتعرف أطائفة الفقهاء والزهاد والمحدثين هم الذين كانوا يمثلون عصرهم ويعطون صورة صحيحة عنه ؟ أم طائفة الشعراء والمغنين ؟ نبحث فنجد أموراً ظاهرة في ذلك العصر تخول لنا الحكم عليه :

أولاً - أن الناس في ذلك العصر كانوا يبجلون أصحاب الفقه والحديث ويعظمونهم ولم يكن بين الرجل وبين الجاه والشرف إلا أن يكون من أصحاب الفقه أو الحديث . عن أشعث بن شعبة قال : قدم هارون الرشيد الرقة فأنجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، ونقطمت النعال ، وارتفعت العبرة

فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج الخشب ، فلما رأت  
الناس قالت ما هذا ؟ قالوا عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال  
له عبد الله بن المبارك، فقالت هذا والله الملك، لا ملك هارون  
الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان  
ولو لم يكن للدين في نفوسهم المحل الارتفاع لما نزل أصحابه  
منهم هذا المحل

ثانيا - أن الدين كان شغل العلماء الشاغل في ذلك العصر  
فقد عكف قوم على تخريج أحكام الفروع ، ومعرفة الحلال  
والحرام ، واستنباط ذلك من الكتاب والسنة والقياس ، وهم  
الفقهاء ، وقوم على تعرف أصول الدين ، ومعرفة وجود الله  
وصفاته ، وإرسال الرسل ، وإمكان المعجزات ، وما إلى ذلك وهم  
المتكلمون ، وقوم على مواضع الدين وآدابه ، وحكمه ، وما  
يخص عليه من مكارم الاخلاق وهم الزهاد والنسك .

وآخرون على الرحلة في طلب الحديث والتزيد منه وهم  
المحدثون ، وغيرهم على فهم كتاب الله ومعرفة ناسخه ومنسوخه

وهم المفسرون ، وما لقي الادب والشعر وعلوم العربية حظا  
إلا لانهم كانوا يرون أنها تعين على فهم كتاب الله وسنة نبيه،  
وبالجملة فلم تستخدم علوم الدين في عصر من عصور الاسلام كما  
خدمت في ذلك العصر ، ففيه وضعت أصول أئمة العلوم  
الاسلامية وأحكمت قواعدها ، وفرعت فروعها ، وهذا أثر  
من آثار اهتمام أهل العصر بالدين وبقينهم به لا من آثار  
الشك فيه .

ثالثا - أن الناس كانوا يطالبون حقوقهم باسم الدين ،  
وكان الفاجح لمن وجد في الدين ما يبدل له حتى الخلافة العظمى  
فقد كانت الدعوة للعباسيين باسم الدين ، ولما استتب لهم الامر  
وأدبيل لهم من بني أمية كانوا يذودون أبناء (علي) بالدين ، قال  
مروان بن أبي حفصة :

انى يكون؟ وليس ذلك بكائن لبني البنات وراثه الاعمام

ويجيبه الداعي الى العلويين بقوله :

لم لا يكون؟ وان ذلك لكائن لبني البنات وراثه الاعمام

تأبذت نصف كامل من ماله      والعم متروك بغير سهام  
ما للطالين ونلسهام وانما      صلى الطالين مخافة الصمصام  
وتبعنا - ان المهدي نهى بشارا عن الغزل في النساء وذكر  
ذلك مرارا كالايات الآتية :

بعت لي تسومني      برد الشباب وقد طويته  
بأنه رب محمد      ما ان غدوت ولا نوبته  
ان الخليفة قد ابي      واذا ابي شيئا ايتته

ونعى الامين ابا نواس عن شرب الخمر وقد ذكر ذلك  
في ابيات كثيرة منها :

أيا الراتحات باللوم لو ما      لا أذوق المدام الا شميما  
نالى بالسلام فيها إمام      لا أرى لي خلافة مستقيما  
كبر حظي وما أوئل منها      أن أراها وأن أشم النسيما  
فكأنني بما أزين منها      قعدي يزين التحكيما (١)

(١) قعدي بالتحريك نسبة الى القعدة وهم طائفة من الخوارج  
قعنوا عن نصرته على كرم الله وجهه ، والتحكيم بينه و بين معاوية  
معروف.

وهذا يدل على احتشام وحب لصيانة الآداب

خامسا - ان الناس كانوا يفارون على دينهم وكانوا

ينقمون على من يظنون فيه مخالفة ولو كانت دون الكفر

يدل لذلك قول الشاعر في ذلك العصر ولا يحضرنى الآن

اسمه ولا الشطر التالي من البيت الاول :

هاج الفؤاد بلائيل الصدر . . . . .

ان بحت طل دمي وان كتمت . . . . .

ما جناه على ابي حسن . . . . .

فهذا كان يخاف ان يطل دمه من إظهار عقيدته تلك

وهي دون الكفر (١)

وما نقل عن أبي نواس وبشار بن الزنادقة والاحمد فاعلمه مما كان

يتحدث به أحدهم لخاصته ، ورواه الرواة بعد ان كفهم بالرواية

سادسا - تقرأ فيما تقرأ ان هؤلاء الشعراء كانوا يرون

(١) ولكنهم عقيدة السياسة والملك وهي ادعى الى استباحة الدم من الكفر

أنفسهم غرباء بخلقهم من ذلك المصير وأنهم شذاذ منه ،  
وكانوا يسهون بما لديهم من قوة لمحو القالة عنهم . اتفق بشار  
وحماة على الحج مع الحاج ليتحدث الناس بذلك فتنفى عنهم .  
قالة السوء ، فلما خرجا بعدت عليهما الشقة فملا في الطريق  
الى مكان فمادوا لهوهما ، فلما قفل الحاج قفلا معا فهناهما الناس  
بذلك الحج ، فغضب حماد من بشار يوما فقال هذه الايات :

ألم ترني وبشارا حججنا      وكان الحج من خير التجاره

خرجنا طالبي سفر بعيد      فمال بنا الطريق الى زواره

فآب الناس قد حجوا وبروا      وأبنا موقر بن من الخساره

كل ذلك يسوغ لنا الحكم بان العصر الثاني عصر يقين

واحتشام ، لا عصر شك واستهتار ، وأن السبب في الحكم بغير

هذا — على ما أظن — أن القاريء للاغاني يخيل اليه من

كثرة ما يذكر من مجون هؤلاء أنهم في جو يسيل فسقا

ومجوناً وإلحاداً ، ولكن لو تذكر أن صاحبه إنما عني بتاريخ

طائفة فقط هم الشعراء والمغنون ، وليس ذلك تاريخاً لسائر

العصر، لحي نفسه من التورط في ذلك الحكم (١) وأن هناك عوامل خاصة جعلت كثيرا من الشعراء المستهترين ماجنين سنعرض لها في مقال آخر، وإن ذكرنا لها يفضي بنا الى مأخذ آخر على الاستاذ الدكتور طه حسين

(١) أي لان مقتضى قواعد النقد التحليلي لاهل عصر من العصور أن يبنى على خلاصات كلية عامة لامرأته وحكامه وعلمائه على اختلاف طبقاتهم من مفسرين ومحدثين وأصوليين وفقهاء ومتكلمين وعباده وصوفيته وأدبائه وفنانيه وشعرائه كما بينه الاستاذ الكاتب لهذا في أوائل هذا المقال، فيخرج الدكتور طه عن هذه القاعدة التي يدعيها دليل على أنه قد كتب لافساد الاخلاق لاجل تحقيق التاريخ .  
أرأيت لو كلف أن يكتب تاريخ فرنسة في هذا العصر الذي عرفها فيه بالاقامة في عاصمتها عدد سنين وكانت هي التي حببت اليه هذا الضرب من البحث التحليلي لحياة الفساق والمجان الذين يوجد منهم في تلك العاصمة ما لا يوجد مثله في سائر عواصم الشعوب في الكم ولا في الكيف - أرأيت لو اقتصر فيما يكتبه فيه على تهتك هذا الصنف وفجوره، أكان يكون مؤرخا صادقا، وناقدا مجندا ومعلما ناصحا للامة التي يكتب لها، أم يعده كل عارف بحال فرنسة وعاصمتها من كذبة المؤرخين، والكاتب المفسدين، وهو انما كتب ما خبره بنفسه، وعرفه بسمعه وحسه ولمسه، وأما ما كتبه عن القرن الثاني للهجرة فهو قليل من روايات خاصة تحتمل الصدق والكذب، وقد يكون جانب الكذب فيها أرجح، بخلاف روايات حفاظ الحديث، وكذا رواة اللغة فتدبر ( انتهى الكتاب )

﴿ كلمة ختامية في هذا الكتاب وعلاوته وذيله ﴾

يقول محمد رشيد رضا صاحب دار المنار : جاءني صديقي الاستاذ العالم الاديب ، الكاتب الخطيب ، المؤلف بما كتبه في نقض مطاعن الدكتور طه حسين الاخيرة على القرآن العظيم ، ورغب الي في طبعه بمطبعة دار المنار والعناية بتصحيحه وكتابة مقدمة لتصديره ففعلت ولما تم طبعه ارتأى أن يضم اليه طبع ما كان قد كتبه ونشره في المنار من الرد على كتاب الدكتور (في الشعر الجاهلي) وهو يدخل في مسمى هذا الكتاب لانه نقض لطعنه في القرآن ، وقفي عليه بفصل عنوانه (السياسة الاحادية في التعليم) حمله عليه ما كان قد كتبه طه حسين وبعض انصاره من كون الجامعة المصرية قد انشئت لتعليم وثقافة تضادان تعليم جامعة الازهر الدينية وثقافتها ، وما ينتقد على جميع المدارس الدنيوية في هذا الباب . وختم ذلك كله بكلمة قيمة بليغة في بعض مزايا القرآن الكريم ثم ارتأى أن يجعل له ذيلًا في انتقادات سبقت له على بعض ما كتبه هذا الدكتور الجريء بل المتهور في بعض المسائل الادبية والتاريخية غير الدينية ونشره في بعض الصحف ، وبذلك عرف كنه الدكتور طه في جميع معارفه ومقاصده .

واما مقدمتي للكتاب فقد كتبتها قبل تمام طبع اصله فموضوعها خاص بطعنه على القرآن العظيم في جملته وأهم مسائله الكلية ، وفي طريقة الطاعن وامثاله في نقدهم ومطاعنهم ، وبطلان بعض قواعدهم فيه وأغلاطهم فيما يبنون عليها من فروع ، دون سياسة الاحاد في التعليم وما بعدها فلم أعرض لها .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب تنبيهًا للمغرورين بأنفسهم ، وبصيرة للاغرار المقلدين لهم ، والسلام على من اتبع الهدى

## فهرس كتاب نقض مطاعن

مقدمة التصدير بقلم السيد محمد رشيد رضا

مقدمة المؤلف	٢
الطمن على القرآن العظيم في الجامعة المصرية	٤
الحاجة الى تفنيد هذه المطاعن	٨
تلخيص المطاعن	١٣
النقض والتفنيد لها وفيه نماذج	١٥
النموذج الاول (الحجيج على البعث وفيه خمسة شواهد)	٢١
النموذج الثاني (البراهين على وجود الله للمالم وخالق لا يكون في القسم المبكي وفيه أربع شواهد)	٢٦
النموذج الثالث (ما أقام من الأدلة على وحدانية الله وفيه شواهد)	٣٣
النموذج الرابع (مناظرته اياهم عند ما كانوا يحاورونه في نفي رسالته وفيه شواهد)	٣٤
النموذج الخامس (مناظرته اياهم حينما زعموا انه يملكه بشر)	٣٦

النموذج السادس ( مناظرته أيام حينما كانوا يرون ان العاقبة لهم وهو يرى ان العاقبة للمؤمنين وفيه شواهد )	٣٣
تفنيد الطعن الثاني	٤٤
براعة سورة تبت يدا من هنه العيوب	٤٥
براعة سورة والعصر منها وما يخص معناها	٤٦
ميل القسم المكي الى اللين والنعو	٥٢
اشتغال كل من المكي والمدني على الوعد والوعيد	٥٤
كلمة في هذا الطاعن على القرآن	٥٧
تفنيد الطعن الثالث	٥٩
تمزيه القسم المكي عن تقطع الفكرة واقتضاب المعاني	٥٩
الحكمة في خلو القسم المكي من التشريعات الجزئية وعنايته باثبات العقائد الاصلية والتشريعات الكلية	٦٨
اثبات القصص والتاريخ في القسم المكي	٦٨
أقسام القرآن	٦٩
تفنيد الطعن الرابع ( هل تعلم القرآن من اليهود )	٧٤
عيب القرآن اليهود بتحريف شريعتهم وكتمان العلم	٧٣

- ٧٤ عيب القرآن اليهود بفقد الامانة واستحلال الحيانة  
والكذب على الله
- ٧٥ عيبه اياهم برذيلة الحسد
- ٧٦ عيبه اياهم بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر  
وخلال أخرى سيئة
- ٧٨ موقف القرآن من اليهود موقف المعلم لا المتعلم
- ٧٩ تفنيد الطعن الخامس
- ٨٥ ضراوة الناقد بالطعن في القرآن
- ٨٦ منهج الدكتور طه حسين العلمي في البحث
- ١٠٠ طه حسين يسرق طموحه في القرآن من كتب المبشرين  
﴿ علاوة ﴾
- ١١٢ السياسة الاحادية في التعليم
- ١٣١ القرآن الكريم  
﴿ تذييل ﴾
- ١٤٠ طه حسين وكتاب الاخلاق لارسطو طاليس
- ١٥٢ القرن الثاني للهجرة ليس عصر شك واستهتار
- ١٦٤ الكلمة الختامية للسيد محمد رشيد رضا

(تصويب أهم ما وقع من التحريف في الكتاب)

صواب السطر ٨ من صفحة ٤ من المقدمة هكذا :  
عد إليها فجعله وهو مديرها من أساتذتها ثم عميدا لكلية الآداب فيها الخ

صفحة سطر	الخطأ	صوابه
٣	٣ (مقدمة) بين	بين
٩	« ٢ شرار	شرار
١١	« ٩ صدق	صورة
٥٣	١١ لا تمدن	لا تمدن
٥٥	٤ وفودها	وقودها
٦١	١٤ ينحكم	ينجيمكم
٦٢	١ يدعونه	يدعونه
٦٣	٩ وخرقوله	وخرقوا له
٦٦	٦ وازر	وازره
٦٨	٤ ولم تخل	ولم يخل
٧٣	١٢ عتلوه	عقلوه
٧٤	٦ ان يضروك	فلن يضروك
٨٥	٢ ضراوة الناقد	ضراوة الناقد
١١٥	١٤ لعرض	لغرض
١١٩	٦ تعلما	تعلما
»	١٠ ما يعطيه	ما يعطيه
١٣١	١٣ وتثنى	وتثنى
١٤١	١٢ الباحث	الباحث
١٤٢	٣ وهم أنهم	وهو أنهم